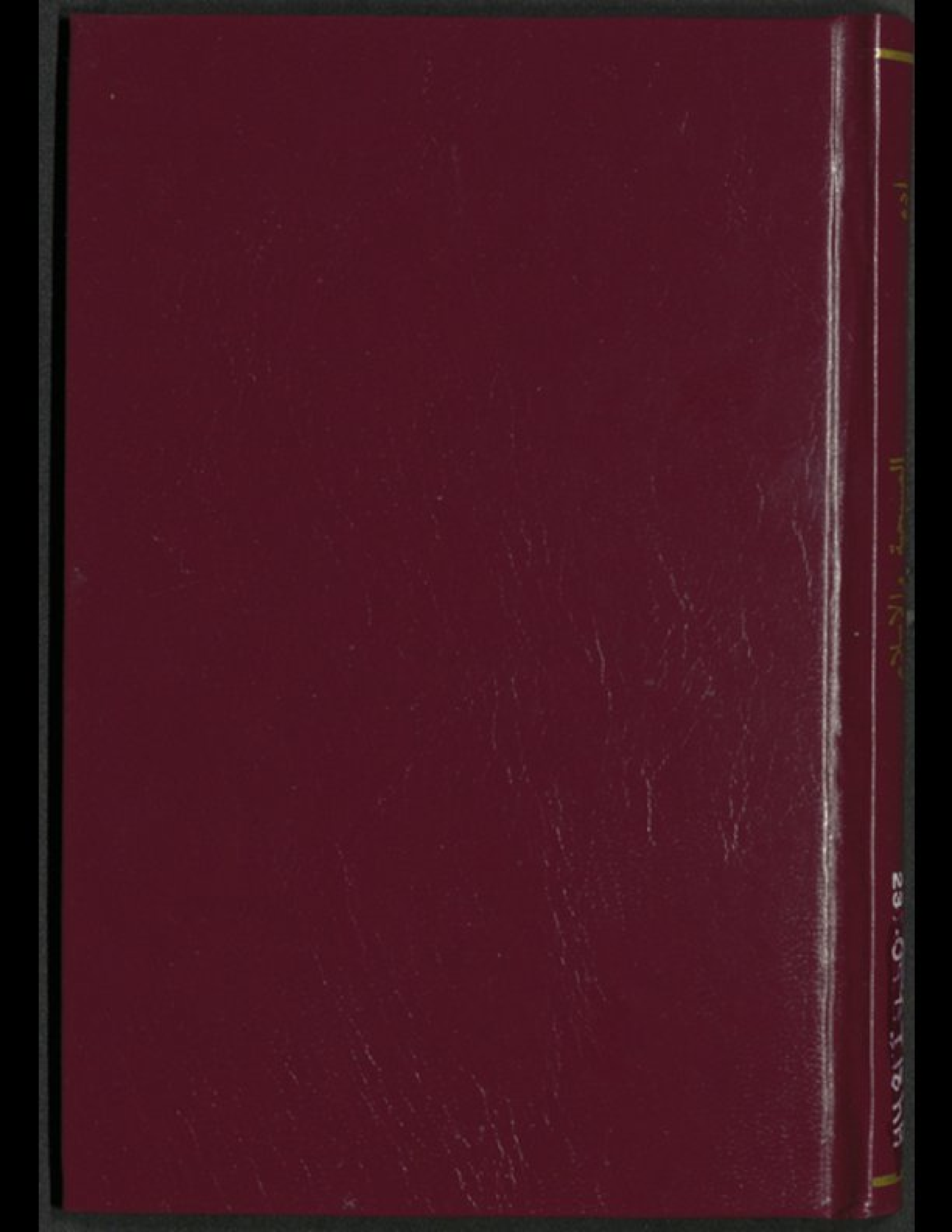



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

المسيحية والاسلام

٢

حقيقة سرّ الثالوث الأقدس

(شهادة الانجيل)

بقلم

الاب خليل اده اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية – بيروت

١٩٦١

تمهيد

بيّنّا في مقالة سابقة ما هو معتقدنا بالتثليث والتجسّد والفداء . وشرحناه طبقاً لإيمان الكنيسة الجامعة وتعليمها الذي لم يتغيّر من عهد الرسل الى ايامنا وإن كان قد ازداد وضوحاً . وقد تبيّن لكل عاقل له إلمام بالمبادئ المنطقية ان ليس في تحرير هذه الأسرار الثلاثة تناقض البتة وإن كان يستحيل على العقل البشري ادراك **كيفيتها** لانها تفوق قواه الطبيعية . فإذا كنّا نعجز عن ان نقيم البرهان على حقيقتها بالطرق المألوفة في العلوم الفلسفية او الطبيعية فبوسعنا ان نثبتها بالرجوع الى مصدرها وهو **الوحي الالهي** . فما علينا الّا ان نبيّن ان الله **اوحى** هذه الأسرار الثلاثة وألزم كلّ من اطلع عليها أن يؤمن بها حتى نسلّم بحقيقتها . لأن العقل يحتم بان نصدق كلام الله — وهو الحقّ بالذات — اذا عرفناه وان كنّا عاجزين عن فهمه تمام الفهم .

وأيّ نبيّ او مُرسل من لدن الله أتانا بحقيقة التثليث والتجسّد والفداء ؟ لقد سبق وأوحى الله شيئاً يسيرًا منها بواسطة انبيائه في العهد القديم[1] . ولكنّ الذي عرّفنا اياها حتى انه لم يدع سبيلًا للريب في صحتها انما هو سيّدنا يسوع المسيح . فما علينا الّا ان نتصفّح اقواله

[1] وعليه يمكننا ان نستشهد بما ورد فيه ولا سيما بالتوراة والمزامير ولكننا لا نستعين به الّا قليلًا خوفاً من التطويل . ولعلّنا نعود الى هذه المصادر بمقالة خصوصية ان شاء الله .

حتى نقتبس منها نور الحقّ الالهي . فان المسلم يُؤمن مثلنا ان المسيح مُرسَل من لدن الله ليهدينا وان كان لا يؤمن مثلنا انه ابن الله . كفى ان يعتقد انه نبيّ فان هذه الصفة تكفل لنا ولكل مؤمن ان كلامه « كلام الله » وبالتالي هو حقّ .

وما هي المصادر التي يمكنّا الرجوع اليها حتى نستخلص منها مياه الوحي الذي جاءنا به السيّد المسيح ؟ لدينا ثلاثة مصادر نستقي منها الوحي الذي كان يسوع المسيح منبعه . الأوّل هو **الانجيل** . والثاني سفر **اعمال الرسل ورسائل الرسل ورؤيا يوحنا** . والثالث ما نسمّيه **التقليد** . وهو التعليم الشفهي الذي توارثناه بلا انقطاع من الرسل فانه ينقل الينا كلام واعمال السيّد المسيح — لأن كلام المسيح واعماله لم يدوّنها الانجيل كلها — وذلك بواسطة «الآباء» الأوّلين خلفاء الرسل وتلاميذهم وتعليم الكنيسة . فهو كالحديث الأكيد عند المسلمين . هذه هي مستنداتنا . غير اننا نقتصر في هذه المقالة على الاستشهاد بالانجيل تاركين لمقالات اخرى الشواهد المستخلصة من المصدرَين الآخرين[1] . وقبل ان نستشهد به ينبغي ان نثبت قيمته وانه كلام الله الواجب الايمان به . واننا نكتفي في هذه النشرة ببيان حقيقة سرّ الثالوث الأقدس . هذا بحثنا الاول وسنبرهن حقيقة التجسد والفداء بنشرة ثالثة ان شاء الله .

---

١) الّا اننا نستعين أحياناً برواية بعض الأخبار الواردة في «أعمال الرسل» . وهذا السفر هو بقلم لوقا الانجيلي ويُعتبر كتكملة الانجيل الثالث ، وعلى قول علماء النقد مثل رَمْساي (Ramsay) « قيمة هذا التأريخ لا يعادلها شيء » .

مقدمات في الانجيل

الفصل الاول

الانجيل في نظر الايمان

الانجيل في نظر المسلم المؤمن بالوحي هو « كتاب الله » . فلا يجوز لـه ان يردّ شهادته اذا ثبتت . بل عليه ان يستند اليها مثلنا ليعرف الحقّ . واليك بعض اقوال من القرآن تذكرة له :

١ً من سورة المائدة :[1]

« **يا اهلَ الكتاب** ــ يعني بهم النصارى الذين ذكرهم في الآية السابقة ــ قـد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مماً كنتم تخفون من **الكتاب** ويعفو عن كثير » (آية ١٥)

وواضح ان « الكتاب » هو الانجيل .

« كيف يحكمونك وعندهم التوريـة فيها حكم الله . . .

انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم به النبيّون (٤٣-٤٤) . . .

---

١) راجع « المصحف الأميري » طبعة الحكومة المصرية سنة ١٣٤٢

وقفينا عــلى آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التورية **وآتيناه الانجيل** فيه هدى ونور ومصدقاً لمـا بين يديه من التورية وهدىً وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الانجيل بما **انزل الله فيه** ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون...» (٤٦–٤٧)

يعتبر القرآن الانجيل كالتوراة كتاباً منزلا يجب الحكم بما فيه لانه هدى ونور . ويؤيد كلامه هذا قائلا :

« لو انهم أقاموا التورية والانجيل وما **انزل اليهم** من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم...» (٦٦)

« **يا اهل الكتاب** لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما **انزل اليكم** من ربكم » (٦٨)

٢ً من سورة البقرة :

« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات **وايدناه بروح القدس** » (٨٧)

انه لظاهر ان المعنى هو كالذي سبق في آيات سورة المائدة.

٣ً من سورة النساء :

« **يا اهل الكتاب** لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم **رسول الله وكلمته** القاها الى مريم

وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة[1] ...» (١٧١)

ان « اهل الكتاب » الموجه اليهم الخطاب هم المسيحيون. واقوال هذا الكتاب « مُنزَلة ».

٤ً من سورة آل عمران :

« وانزل التوراة والانجيل من قبل — قبل القرآن — هدىً للناس » (٤)

« قُل » آمنّا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على ابرهيم واسمعيل والأسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربهم ولا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٨٤)

٥ً من سورة الحديد :

« وآتيناه — أي عيسى — الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوه رحمة ورأفة » (٢٧)

وفي هذا القدر كفاية[2] يتّضح منه ان القرآن يعتبر النصارى « أهل الكتاب » وهذا الكتاب هو الانجيل وهو منزل كالتوراة وكالقرآن في نظر المسلمين . فهو اذاً كتاب الله « فيه هدىً ونور »

١) الظاهر انه يشير الى ضلال من قال ان التثليث عبارة عن الله الآب ويسوع المسيح الانسان ومريم امه وهو ضلال لم نجد له أثرًا في كتب العلماء الأوّلين (راجع ما قلناه في حاشية مقالتنا الاولى في هذا الموضوع وجه ٣)

٢) اذا اردت زيادة فانك تجدها في كتاب «المسيحية في الاسلام» (ص١١—١٥) لحضرة الإيغومانس ابرهيم لوقا راعي الكنيسة القبطية الارثذكسية في مصر الجديدة

يجب على المسيحي بل على كل مؤمن بالله « ان يحكموا بما انزل الله فيه » فاذا وجدنا فيه ما يثبت حقيقة الأسرار الثلاثة التي نحن في صددها لزمنا جميعاً الايمان بها .

غير ان علماء الاسلام — او بعضهم — لا يسلّمون بان « الانجيل هو « مُنزّل » الّا القدر الذي ينطبق على كلام المسيح . واما الباقي من مشاهدات أعمال عيسى عليه السلام الواردة في الانجيل فليس في اعتبار المسلمين كلاماً منزّلا »[1] فلا بدّ من الردّ على هذا الاعتراض قبل ان يحقّ لنا ان نستشهد بالانجيل وبكل ما ورد فيه.

نشأ هذا الاعتراض على ما نرى عن عدم التمييز بين « الانزال » « والالهام » ولذلك يلزمنا تقديم بعض ايضاحات في هذا المعنى ليتبيّن للمسلم ان الانجيل هو « كتاب الله » **بكل ما يحتويه** وبالتالي انه يوحي الينا ما ينبغي الايمان به والعمل بموجبه لنرضيه سبحانه وتعالى.

* * *

الانزال والالهام

الانزال او **الوحي** هو ان يكشف الله لنبيّه او رسوله حقائق او اوامر كان يجهلها . أو ان يبيّن له بشكل أوضح وأكمل حقائق سبق وعرفها معرفة ناقصة . ولا يكون موضوع « الانزال » حقائق **طبيعية** فقط بل **حقائق فائقة** الطبيعة ايضاً اي حقائق لا يقوى العقل

---

١) من جواب لأحد علماء « الأزهر » — وعلى كل حال فانه يكفينا ان « رواية اعمال عيسى عليه السلام الواردة في الانجيل » صحيحة صادقة .

البشري — مهما سما وعلا — على اكتشافها ولا على إدراكها تمام الادراك حتى بعد اطلاعه عليها.

اما **الالهام**، فهو هبة فائقة الطبيعة ايضاً بها ١ً ينوّر الله عقل الكاتب[1] حتى يفهم تمام الفهم الموضوع الذي يريد الله ان يحرّره ويبلّغه الناس. و٢ً يحرّك الله **ارادة** ذاك الكاتب حتى يدوّن فعلاً كل ما يطلب الروح القدس تبليغه و٣ً يساعده طول الكتابة حتى يعبّر عمّا كشفه له الله وأراد منه تبليغه **بلا غلط** ولا زيادة ولا نقصان وبالصورة التي يراها مناسبة ليُفهَم كلامه كما يجب وسواء أكان معروفاً قبلاً ام مجهولاً طبيعياً ام فائق الطبيعة. فيكون الكلام الذي يحرّره الكاتب اذ ذاك **بالهام الله** كما شرحناه « كلام الله » حقاً يجب تصديقه اي « الايمان به ».

ولا حاجة ان تكون **الالفاظ** ملقّنة من الله بل يكفي ان تكون وافية بالمرام موضحة مراده تعالى بأساليب من التعبير مفهومة مشهورة لدى الذين يوجه الله اليهم نبيّه او رسوله. ولهذا السبب تجد في النبوءات القديمة كلاماً تارةً في غاية الفصاحة من حيث الانشاء كما في نبوءات أشعيا وتارةً في غاية « البساطة » كما في سفر النبي عاموس[2] لان المقصود من كل ذلك اجمالاً انما هو المعنى ليس الّا.

١) فترى ان الالهام هو لكتابة ما يريد الله تبليغه بخلاف الوحي فانه لا يكون الغرض منه ضرورةً التبليغ باللسان او القلم.

٢) كان اشعيا من ابناء الملوك كامل الثقافة ومن البلاغة في درجة عالية واما عاموس فكان راعياً امياً فترك الله كلّاً واحد على حالته واستعمله لمراده

فبموجب هذا المبدأ نقول ان الانجيل كُتِبَ بالهام الروح القدس فلا يتكلم الانجيلي من نفسه بل بايعاز من الله فكلامه هو اذًا «كلام الله» ولا فرق من هذا القبيل بين الوحي الذي يورده وباقي الحقائق الطبيعية او المعلومات التاريخية او المشاهدات الخ التي يؤكدها فانه يروي كل ذلك « من قِبَل الله » فلا يمكن ان يغلط .

هـذه الحقيقة لا يستطيع المسلم انكارها وان كان القرآن لا يصرّح بالتمييز بين الالهام والوحي فانه يفترضه ويعمل به واليك البرهان :

١ً يسمي القرآن الانجيل «الكتاب» اي كتاب الله مثل القرآن والنصارى أهل الكتاب ولكن اقوال المسيح دون أعماله وحوادث حياتـه لا تكاد تشغل نصف الكتاب . فكيف يكون الانجيل « كتاب الله » ان كان معظمه كلام بشر .

٢ً ان الانجيل كما قال القرآن « فيه هُدىً ونور » . بل « هو هُدىً يجب ان يحكم أهله بموجبه . فكيف يكون الانجيل لأهله « نورًا وهدىً » من الله وقاعدة حكم ان كان معظمه من اقوال البشر القابلة الغلط والضلال .

٣ً ان السيّد المسيح يوصينا صريحًا باتباع امثاله . قال (متى ١١–٢٩) « تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب . »

وقال ايضاً بعد ان غسل أرجل تلاميذه في العشاء الأخير قبل ان يذهب الى الموت (يوحنا ١٣ : ١٣ الخ .)

« انتم تدعوني معلماً ورباً وحسناً تقولون لأني كذلك . فإن كنت انا الربُّ والمعلّم قد غسلتُ أرجلكم فيجب عليكم ان يغسل بعضكمْ أرجل بعض لأني **اعطيتكم قدوةً** حتى انكم كما صنعتُ انا بكم تصنعون انتم ايضاً . »

فلو كان كلام المسيح هذا وحده من الله بما انه « مُنزَل » على قول المعترض وخبر غسله لأرجل التلاميذ ــ وهو المثل الذي ينبغي لهم ان يقتدوا به **من قبل الله** ــ رواية بشريّة ليست من الله أفما يكون في ذلك تناقض بيّن لا يجوز مطلقاً ؟ فهذا التناقض يزول اذا قلنا ان كلام المسيح «منزل» ورواية الخبر «مُلهَمة» فيكون الكل **من الله** يجب الايمان به .

٤ً ان السيّد المسيح كثيرًا ما كان يُسند اقواله الى معجزات يأتيها إثباتاً لكلامه امام الشعب . فهل يمكن ان نفصل ونفرّق بين قول المسيح والشاهد على صحته وننسب الاول الى الله والثاني الى انسان فقط ؟ هذه مثلًا رواية المخلّع الذي حمله اربعة رجال في سريره ودلّوه من سطح البيت الذي كان يسوع جالساً فيه يعلّم[1] .

« لمّا رأى يسوع ايمانهم قال للمخلّع : يا بُنيّ مغفورة لك خطاياك . وكان قوم من الكتبة جالسين هناك يفكّرون في قلوبهم : ما بالُ هذا يتكلم هكذا ؟ انه يجدف . مَن يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله وحده؟ فللوقت علم يسوع بروحه انهم يفكّرون هكذا في أنفسهم . فقال لهم : لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم ؟ ما الأيسر ان يُقال

١) مرقس ٢ : ١-١٢ ؛ ومتى ٩ : ٢-٨ ؛ لوقا ٥ : ١٧-٢٦

للمخلّع : مغفورة لك خطاياك أم ان يُقال له : قُمْ احملْ سريرك وامشِ ؟ ولكن لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطان على الأرض ان يغفر الخطايا — ثم قال للمخلّع — لك اقول : قُمْ احملْ سريرك وامشِ . فقام للحال وحمل سريره وخرج امام الجميع . . . »

فهل يمكن ان نعتبر كلام يسوع هذا « يا بُنيّ مغفورة لك خطاياك » و « لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطان ان يغفر الخطايا . . . الخ » هو من الله وان رواية تفاصيل الخبر مثل « لمّا رأى يسوع ايمانهم » و « علم يسوع بروحه انهم يفكّرون هكذا (انه يجدّف) . . . » و « قام للحال » (المخلّع) . . . الخ ليس من الله ؟ لعمري ما من عاقل يرضى بمثل هذا التفريق في النصّ الواحد . وكل التباس يزول اذا اعتبرنا — وهو عين الصواب — ان تفاصيل الخبر كُتبت « بالهام » الروح القدس فأصبح الكلّ « كلام الله » لا ريب فيه .

٥ً وتزداد هذه الحقيقة وضوحاً وقوّةً مما سنقوله عن معنى « الانجيل » فان لهذه اللفظة معنى محدوداً . فانها تدلّ على جميع « ما عمل يسوع وقاله » كما صرّح مار لوقا الانجيلي في كتابه الثاني « أعمال الرسل » — وهو كتكملة للانجيل كتابه الاول — قال فيه عن انجيله (١ : ١) :

قد أنشأت الكلام الاول يا تاوفيلس في جميع الامور التي **عملها** يسوع **وعلم بها** . . . »

ولم يستطع القرآن ان يستعمل لفظة انجيل الّا بمعناها الشائع بين المسيحيين . فاذا قال عن الانجيل انه « كتاب الله » فقد عنى بذلك

جميع « ما عمله يسوع وعلّم به » .

فترى ان الانجيل بكلّيته « كلام الله » وذلك طبقاً لتعليم القرآن ايضاً وعليه لا يجوز للمسلم ان يعتبر الانجيل « كتاب الله » ويحصر هذه الصفة في ما جاء فيه من أقوال السيّد المسيح فقط دون اعماله الوارد خبرها مع ظروفها المتنوّعة .

٦ً وان أصرّ على زعمه فلا بدّ له — على الأقلّ — ان يعتبر كل ما ورد في الانجيل صحيحاً مطابقاً للواقع أكيداً وإلّا فلا يعود في امكانه ان يعتمد ولا على آية واحدة من **اقوال المسيح** . لانه لا يستطيع اذ ذاك ان يثبت ان المسيح قال تلك الكلمة التي يعتبرها « منزلة » . كيف يثبت مثلاً ان هذه الآية « طوبى للمساكين . . . » (متى ٥:٣) هي منزلة ان كان لا يستطيع ان يؤكد ان المسيح **قالها** (١ و ٢) . وكيف **يؤكد** ان المسيح **قالها** إن كانت رواية **اخبار** الانجيل مرتاباً بصحّتها ؟ لعمري يصبح الانجيل اذ ذاك كأنه لم يكنْ قط . ومن أوّل ظهوره . وأيّ عاقل يسلّم ان الله أوحى كلاماً الى المسيح ليبلّغه الناس ولا يمكن ان يُبلَّغ منه حرف واحد مؤكداً . فلا بدّ اذاً ان يكون كلام الانجيل **باجمعه** كلام الله يُعتَمد عليه لمعرفة الحق سواء كان من كلام المسيح او من كلام الراوي المتكلّم بايعاز الروح القدس والهامه .

ولكنّ هناك مسألة أخرى في غاية الأهمّية لا بدّ من بحثها وحلّها بالايجاب حتى يجوز لنا ان نستشهد بالانجيل لمعرفة ما أوحاه الله

بسيدنا يسوع المسيح . وهذه هي :

هل الانجيل الذي بين أيدينا هو كتاب الانجيل الأصلي الذي وضعه الانجيليّون بالهام الروح القدس ? لا ريب في ذلك . وها نحن نثبت لك هذه الحقيقــة . ولا بدّ لنا قبل ان نأتي بالبرهان ان نفسّر لاخواننا المسلمين ما هو معنى « الانجيل » . لأن تصوّرهم فيه مخــالف للواقع فانهم يظنّون انه **كتاب انزل برمته** على المسيح لفظاً ومعنى وليس الأمر كذلك كما سترى.

* * *

ليست لفظة انجيل عربيّة الاصل . انها يونانيّة معرّبة ευαγγέλιον ومعناها في اللغة الفُصحى « المدرسيّة » **الخبر السارّ** . بل كان معناها اولًا الحلوان الذي يُعطى للآتي بالخبر السارّ . وعليه يمكننا ترجمــة اللفظة اليونانية « انجيل » **بالبشارة** قاصدين بهــا **موضوع البشارة** اي الخبر نفسه . وقد نحتوا منها في اللغات الغربيّة أفعالًا للدلالة على نشر هذا «الخبر السارّ» فقالوا مثلًا في الافرنسيّة « évangéliser ».

وأوّل ما وردت هذه اللفظة بمعناها المذكور في الترجمة اليونانيّة لنبوءات أشعيا جيلين او أكثر قبل المسيح يعبّر بها المترجم عن « الخبر السارّ » الأعظم عند اليهود وهو خبر قدوم المسيح المخلّص . مثلًا في الفصل ٤٠ : ٩ و٥٢ : ٧ الخ و٦١ : ١ الخ.

« ما أجمل على الجبال أقدام **المبشّرين** المسمعين بالسلام

المبشّرين بالخير المسمعين بالخلاص

القائلين لصهيون : قد ملك إلهك

. . . . .

اندفعي رنّمي جميعاً يا أخربة اورشليم

ان الربّ قد عزّى شعبه وافتدى اورشليم . . . » (٥٢ : ٧-٩)

« ان روح السيّد الرب عليّ

لأن الرب مسحني **لأبشر** المساكين

وأرسلني لاجبر المنكسري القلوب . . . » (٦١ : ١)

وعن أشعيا أخذ كتبة العهد الجديد اللفظة اليونانية المنحوت منها «الانجيل» للدلالة على **خبر الخلاص** الذي جاءنا به المسيح وكان هو عامله . روى مرقس في انجيله (١ : ١٤ و١٥) :

« بعد ما أُسلم يوحنا أتى يسوع الى الجليل يكرز « بانجيل » ملكوت الله قائلاً : « قد تمّ الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا « بالانجيل » . . . »

ولم يكن هناك كتاب اسمه «الانجيل» فيه ملخص اقوال المسيح . بل كان ذلك بدء كرازة المسيح . فمعنى اللفظة ظاهر وهو « البشارة بالخلاص » الآتي به المسيح وقد كنى عنه بحصول « ملكوت الله » .

وقد وردت هذه اللفظة في الانجيل مراراً[1] ولم تعبّر ولا مرّة عن مجموعة او كتاب يُحال عليه القارئ او السامع . وكثر استعمالها في رسائل بولس مثلاً في رسالته الى أهل غلاطية . وكان بشّرهم ونصّرهم . ثم دخل فيهم أُناس « متهوّدون » حاولوا ان يقيّدوهم بعادات يهوديّة

---

١) ٧ او ٨ مرات عند مرقس و٤ عند متى الخ

فكتب اليهم الرسول نحو سنة ٥٣ يبكّتهم :

« اني متعجب كيف تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر وان لم يكن انجيل آخر. لكنّ قوماً يبلبلونكم ويريـدون ان يقلبوا انجيل المسيح . ولكن ان بشرناكم[1] نحن أو ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به فليكن مُبسَلاً » (١ : ٦-٩)

وقد كُتبت هذه الأسطر بسنوات قبل الكتاب الذي سُمّي بعد ذلك «الانجيل» . ولمأ لم ترد هذه اللفظة في الأسفار المقدّسة للدلالة على كتاب فلذلك لم تأتِ الّا بصيغة المفرد . غير انه مع توالي الأيام أخذوا يعبّرون بها مجازاً عن الكتاب الحاوي بشرى الخلاص . وبما انّ الروايات التي نُشرت بها هـذه البشرى هي أربع أخذوا يعدّدون « الانجيل » ويقولون « الأناجيل الأربعة » كناية عن الكتب الاربعة التي فيها الانجيل **الواحد** .

وأوّل من استعمل لفظة انجيل للتعبير عن الكتاب المحرّرة فيه البشرى الانجيلية هو على ما يظهر القديس الفيلسوف الشهيد يوستينوس[2] — وكان صاحب مدرسة مسيحية في رومة وأصله من فلسطين — في اوّل مدافعة عن الدين المسيحي رفعها الى الملك الروماني انطونينوس والى مجلس الشيوخ نحو سنة ١٥٠ فانه يذكر فيها « مفكّرات الرسل المسمّاة بالأناجيل » . ثم اعتادوا بعـد ذلك اذا ذكروا الانجيل ان

---

١) ان اللفظة اليونانية المترجمة بلفظة بشّر هي مأخوذة من لفظة انجيل باليونانية كاللفظة « évangéliser » بالفرنسية

٢) راجع : Justin I Apolog. – Ch. LXVI

يلحقوا كل رواية من رواياته الأربع باسم صاحبها فيقولون «انجيل متى» ــ وهو من نحو سنة ٦٤ ــ و«انجيل مرقس» ــ من نحو سنة ٦٥ ــ و« انجيل لوقا » ــ من نحو سنة ٦٧ ــ واخيراً « انجيل يوحنا » ــ في اواخر الجيل الأوّل أو بدء الثاني ــ وهذه الروايات كما قلنا انجيل واحد أي «بُشرى واحدة» بالخلاص نشرها الرسل في تعليمهم الشعوب فحرّر خلاصتها كلٌ واحد من الكتبة الأربعة المذكورين كما رآه مناسباً للبلاد التي كان فيها: الأوّل في فلسطين لليهود . والثاني في رومة للمتنصّرين هناك بسعي مار بطرس. والثالث في البلدان التي بشّر فيها بولس وقد كان لوقا رفيقه في جملة اسفاره. والرابع في أفسس.[1]

فترى مما تقدّم ان «الانجيل» معناه الأصلي **الحقيقي** هو « البشرى بالخلاص » ومعناه **المجازي** الكتاب الذي دُوّنت فيه هذه البشرى. والخلاص أتى به يسوع المسيح وهو « قول وفعل » كما مرّ بك . وكلاهما من الله وقيمتها واحدة ولا يجوز فصلهما.

فبعد هذه الايضاحات يسهل الجواب على السؤال الذي اقترحناه: هل الانجيل الذي بين ايدينا هو الانجيل الأصلي ولم يعتره تغيير ولا تحريف فنقول: « ان الانجيل الحالي هو بعينه كتاب الانجيل الأصلي .»

***

هو الكتاب الأصلي ١ً **منذ عهد الاسلام** والبرهان نتّخذه من القرآن نفسه.

١) راجع تأليف الاب ربّاط: « الانجيل الشريف » – بحث نظري تاريخي نقديّ في حقيقة نسبة الأناجيل الى كَتَبَتها وتاريخها وبراءتها من التحريف وصدقها – المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، سنة ١٩١٢

١ً لا ريب ان محمداً عنى بكلامه على « الانجيل » الانجيل الأصلي كما وضعه الانجيليّون لان هذا الانجيل هو الذي كان يتداوله المسيحيون على عهده . ودليل ذلك ان محمداً في القرآن كان يحاجّ المسيحيين بالانجيل الذي كان بين أيديهم . ويحيلهم عليه بما انه «كتاب الله» «المُنزَل» والواجب اتباعه . فلو لم يكن هذا الكتاب في عُرفه «الانجيل الأصلي» لما كان لبرهانه من معنى . وعليه لا يجوز القول ان المسيحيين في ذاك العصر أو قبله «حرّفوا» الانجيل كما نسمع بعضهم يقولون مع ان نبيّهم لا يشكو من تحريفنا الانجيل ولكن من إخفائنا ما فيه من الشهادة على حقيقة بعثته كما مرّ بك في سورة المائدة ١٥ وكما ورد في غيرها مثلاً في سورة البقرة ١٤٣ اذ قال :

« ان الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون . »

يشكو محمد من ان بعضهم « يكتمون الحق » وما ورد في الانجيل عن دعوته (؟) لا انهم يحرّفون الكتاب نفسه . وهذه الحقيقة لا ينكرها علماء القرآن كالرازي والبيضاوي[1] وغيرهما .

و٢ً اما بعد ظهور الاسلام حتى ايامنا فان الانجيل لم يعترِه قطّ تغيير جوهري ولا تحريف . هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان حتى من أعداء الدين المسيحي الكَفرة لكثرة النسخ القديمة وشيوعها في العالم كلّه .

فاذا ثبت ان الانجيل الحالي هو الانجيل الأصلي وانه سالم من كلّ تحريف او تغيير فيمكننا ان نستشهد به ولا يجوز للمسلم ان

١) راجع « المسيحية في الاسلام » ص ١٨-٣٩

يرفض هذه الشهادة ·

وقد أحببنا مع ذلك ان نطرق باباً آخر لإثبات صحة الانجيل وصدقه وعدم تحريفه · باب «النقد العلمي» المستحدث · وهي طريقة ثانية للوصول الى معرفة الحق نبسطها بإيجاز ·

الفصل الثاني

الانجيل في نظر النقد العلمي

١ً في صحة الانجيل

ان نص الانجيل الذي بين ايدينا هو بعينه الانجيل الذي وضعه الانجيليون · هذا ما يتضح لك من مراجعة اصول « النقد العلمي » ·

كُتبت نصوص الانجيل اولاً على البَرديّ ولكنها لم تصبر على صروف الزمن فلم يبقَ منها الّا تقاطيع · فما عتموا ان نسخوا الانجيل الأصلي على رقّ الغزال وذلك ابتداء من اوائــل الجيل الثالث · ولدينا الآن أكثر من ٢٣٠٠ مخطوط من الانجيل باللغة اليونانية وهي لغته الأصلية[١] منها أكثر من ٤٠ نسخة ترتقي الى ما قبل سنة ٩٠٠ وعدد كبير الى الجيل الخامس واثنان الى اول الجيل الرابع ·

ثم عندنا اكثر من ١٥٠٠ مجموعة للقراءات الطقسيَّة · وترجمات الى ١٥ لغة قديمة تشهد للأصل اليوناني · وزد على ذلك نصوصاً لا

١) كتب متى انجيله اولاً بالآرامية ثم نقله هو او غيره – بعد ظهور انجيل مرقس – الى اليونانية وهي النسخة الباقية وحدها · واما الاناجيل الثلاثة الاخرى فلغتها الاصلية هي اليونانية ·

تُحصى في تآليف الآباء العلماء الأقدمين ترتقي الى الجيل الثاني والاول منقولة عن مخطوطات مفقودة الآن . فكل هذه المخطوطات تساعد على ضبط نصّ الانجيل الأصلي . وليس في العالم كله كتاب مثله يركن الى مثل هذا العدد الوافي من النسخ الصحيحة والتآليف القديمة .

وقد قضى عالمان من أعظم علماء النقد «الكتابي» في الجيل التاسع عشر **هورت** وزميله **وِستكوت** ٢٥ سنة يدرسان المخطوطات اليونانية الـ ٢٣٠٠ ويقابلان بعضها ببعض . فأسفر بحثها المدقّق عن النتيجة الآتية . قال هورت :

« ان سبعة أثمان الآيات الانجيلية لا شك قط في صحة كلماتها . والثمن الباقي فيه اختلافات كثير منها واقع في **ترتيب الالفاظ** — وهذا في اللغة اليونانية لا يمسّ جوهر المعاني عادةً — او في **تغيير لفظي** مما لا طائل تحته . اما النصوص التي داخلها تغيير **جوهري** فهي قليلة جدا ويمكن تقديرها بانها أقلّ من **جزء من الف** بالنسبة الى كل آيات الكتاب »[1] .

وما هو هذا الجزء الذي وقع فيه الخلاف ؟ كان الأقدمون قد قسموا كلام الانجيل الى أجزاء مؤلف كل منها من ١٥ او ١٦ مقطعاً (syllabes) للقراءات الطقسية فكان مجموع هذه التقاطيع نحوًا من ٩٠٠٠ فلا خلاف جوهريًا الّا في **تسعة** منها . وهذا الخلاف يُصلح

---

1) The new Testament in the original greek II p. 2. London, 1882.

بالرجوع الى مصادر أخرى غير الانجيل. فتأمل"[1]. وقد صادق على هذا الحكم النقد العلمي العصري . ولا عجب في ذلك اذا تذكرنا ان المسيحيين من اول ظهور الانجيل اعتبروه كتاباً الهيا واحتفظوا به كل الاحتفاظ حتى أراقوا دمهم في سبيل سلامته.

ومن البديهي ان هذه الوحدة العجيبة في نصوص النسخ التي بين ايدينا من اوّل الجيل الرابع — بل من منتصف الثالث في بعض اجزائها — لم تكن نتيجة اتفاق تمّ اذ ذاك حين كانت النصرانية منتشرة في العالم الروماني وخارجاً عنه حتى الهند. وعدد كنائسها في المملكة الرومانية وحدها على تقدير العلّامة هرناك نحو من ١٨٠٠ كنيسة. فان الاتفاق على نصّ واحد من قبل كل هذه الكنائس المتعدّدة المتباعدة ولم يكن قد انتهى بعد تماماً عصر اضطهاد دام جيلين ونصفاً . ولم يكن هناك سلطان قدير ليُوجِد هذه الوحدة في النصوص — كما جرى للقرآن في عهد عثمان — ويُتلِف في كل مكان أي في العالم بأسره كل ما كان مخالفاً للنصّ « القانوني » . فبقي ان هذه الوحدة في النسخ اليونانيّة المذكورة لم تتأتّ الّا من وحدة النسخ التي تقدّمتها في الجيلين السابقين . وهكذا نصل بالتسلسل الى النصّ الأصلي الذي وضعه الانجيليّون الأربعة في النصف الثاني من القرن الاوّل للمسيح.

ويؤيّد صحّة هذه النتيجة مقابلة النصوص اليونانية المذكورة بالترجمات القديمة لا سيا اللاتينية العتيقة والسريانية وهما من الجيل الثاني

---

[1] راجع « Jésus Christ » par le P. de Grandmaison, p. 32.

بل من أواخر الاوّل فان هذه الترجمات مطابقة جوهرياً للنصّ اليوناني.

ولك ايضاً برهان آخر لا يُرَدّ في النصوص الانجيلية الواردة في كتابات الآباء الاوّلين وأخصّهم اقليمندس الاسكندري واوريجانس العلّامة والمؤلف الشهير في الاسكندرية في اواخر الجيل الثاني واوائل الثالث . والعلّامة تاشيانس[1] تلميذ القديس يوستينس الشهيد صاحب المدرسة الرومانية والمستشهد سنة ١٥٠ . وترتليانس في المغرب (في اواخر الجيل الثاني) وأعظم هؤلاء كلّهم ايريناوس اسقف مدينة ليون وقد كان تلميذ بوليكربُس تلميذ الرسول يوحنا الحبيب في ازمير . وقد زار رومة وعاش فيها مدّة واتّصل بخلفاء بطرس الباباوات . فلهذا الكاتب العظيم المستشهد في ليون نحو سنة ١٧٠ تآليف شهيرة بيّن فيها أصل الأناجيل الأربعة وصحتها وحقيقة نسبتها الى الانجيليين الاربعة وصدق واضعيها . وذكر فيها الآيات الانجيلية كلّها تقريباً حتى انه يمكن اذا جمعناها ان نؤلف منها النص الانجيلي بتمامه[2] .

ففي مؤلفات هؤلاء الكتّاب المعاصرين لتلاميذ الرسل الاوّلين وغيرهم نجد بكامله الانجيل الذي وصل الينا في النسخ اليونانية التي نحن في صددها . وليس انجيل سواه في العالم المسيحي سوى «الاناجيل المزوّرة» وهي تآليف متأخرة رذلتها الكنيسة حالاً بعد ظهورها فانها على الغالب مملوءة خرافات وأساطير . وما فيها من الحقائق فانما كان

---

١) وقد ألّف نحو سنة ١٧٥ « دائرة » من الاناجيل الاربعة Diatessaron حاول فيها ترتيب النصوص الاربعة بشكل نصّ واحد يجمع التفاصيل المختلفة الواردة في الاناجيل . وقد خرج من الكنيسة بعد موت معلّمه .

٢) راجع تأليف الاب « جران ميزون » de Grandmaison المذكور ص٩٤ . وشهادة ايريناوس هذه على قول هرناك وهو من المقلبين «لها قيمة لا تثمّن»

منقولًا عن الانجيل الشرعي[1] . وعليه يمكننا ان نثبت مؤكدين هذه الحقيقة الأساسيّة :

ان الانجيل الحاليّ هو «بجوهره»[2] **الانجيل الاصليّ** . ولا إنجيل غيره. هذا هو الانجيل الذي مدحه القرآن وقال فيه انه «كتاب مُنزَل» فشهادة العلم تؤيّد شهادته. وعليه يتضح لك ثانيةً ان تهمة التحريف للانجيل ساقطة من نفسها بعد كل ما قدّمناه.

بقي علينا بعد ذلك ان نبيّن **قيمة الانجيل التاريخية** . فهل هو صادق في كل ما يرويه حتى يمكننا ان نعتمد عليه بكلّ ارتياح ؟

لا يصعب الجواب حتى في نظر المسلم : بما ان الانجيل « كتاب الله» والنصّ الذي بين ايدينا هو النصّ الأصلي (اي مطابق للأصل) فكلّ ما يرويه هو مطابق للحقّ . ولكنّا نطلب الجواب من العلوم النقديّة أيضاً .

٢ً في صدق الانجيل

من المشهور ان كتبة الانجيل نقلوا الينا بكل صدق وأمانة — وإن كان بإيجاز — **تعليم الرسل** في كرازتهم . فقيمة الانجيل التاريخيّة راجعة الى صدق الرسل في كرازتهم .

أمّا ان الانجيليّين نقلوا الينا خلاصة تعليم الرسل فيما يتعلّق بحياة

١) هذا حكم رينان في كتابه « Vie de Jésus » LXXXVIII وغيره من علماء النقد.

٢) قلنا بجوهره فرارًا من المماحكات إن اراد منتقد ان يجادلنا في صحّة كلمة او جملة او معنى عبارة ربّما وقع في ضبطها خلاف .

يسوع وتعاليمه فحقيقة علمية يسلّم بها علماء « النقد الكتابي » حتى «العقليون» منهم. قال المرحوم الأب لاچرانج العلّامة الكتابي الشهير مؤسس ومدير المعهد الكتابي الافرنسي للآباء الدومينيكان في اورشليم:

« ان صدق الانجيليين لا يشك فيه أحد الآن وقد أصبح الدفاع عنه تضييع وقت . . . لم نترك للريب فيه سبيلاً على الإطلاق . وهذا فخر للنقد العلميّ العصريّ ان لا يرتاب في صدق الانجيليّين احد[1] ».

وعليه أصبحت كلّ المسألة متعلّقة بصدق الرسل في نشرهم أخبار معلّمهم الالهي وذلك عن معرفة واطّلاع.

صدق الرسل

كان الرسل شهود المسيح كما قرّروا مرارًا وشهادتهم حقّ هي[2]. يروُون ما رأوا وسمعوا[3] وروايتهم صادقة فانهم لم يكتموها بل جاهروا بها حالًا بعد موت المسيح مدة ١٠ او ١٢ سنة في اورشليم واليهوديّة أمام عشرات الالوف ممّن شهد من اليهود أعمال يسوع وسمعوا اقواله ولم يقم منهم ناقض لكلامهم

وما يزيد شهادتهم قوّةً انهم شهروا اقوالًا واعمالًا لم تكن تروق لرؤساء اليهود وعلمائهم فاضطهدوهم وأمروهم متهدّدين بالامتناع عن التبشير بالمسيح فكانوا يجيبون :

---

١) راجع « Jésus et la Critique des Evangiles ». – Bulletin de littérature ecclésiastique. Janvier 1904.

٢) راجع الملحق

٣) ١ يوحنا ١:١-٤ . اعمال الرسل ٢ و٤ و٥

« أحكموا انتم ما العدل أمام الله أن نسمع لكم أم نسمع الله. فانا لا نقدر الا ان نتكلم بما عاينا وسمعنا ... » (الأعمال : ٤:١٩-٢٠)

« ان الله احقّ من الناس ان يُطاع » (الأعمال ٥:٢٩)

ولمّا جلدوهم لأنهم لم يذعنوا لأوامر رؤساء الكهنة « خرجوا من وجه المحفل فرحين بانهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لأجل اسم يسوع » (الأعمال ٥:٤١)

هؤلاء هم الشهود الذين أخبرونا بما جرى تحت أعينهم.

ومثلهم بولس. فما اكثر ما احتمل في كرازته من أجل المسيح: « جلدني اليهود خمس مرّات أربعين جلدة الّا واحدة[1]. وضُربتُ بالعصي ثلاث مرّات ورُجمت مرّةً... » (٢ كور ١١-٢٤) . وهذا فضلًا عن الأتعاب والمشقّات العديدة التي احتملها في سبيل الانجيل وقد روى شيئاً منها في رسالته المذكورة.

وكذا قلْ عن باقي الرسل . وقد أفضتْ بهم شهادتهم ليسوع الملخّصة في الانجيل الى الموت . فمن يستطيع ان يرتاب في صدق شهادة كهذه ؟ قال باسكال المفكّر والكاتب الشهير الفرنسي في الجيل السابع عشر: « اني أصدّق شهوداً يموتون بطيبة خاطر إثباتاً لحقيقة ما يقولون » وكل عاقل من رأيه.

ولم ينقل الينا **الانجيليون** شهادة الرسل هذه الّا بعد **ان تحققوا** صحتها . اسمع ما يقوله لوقا في مقدّمة انجيله :

---

١) كان عدد الجلدات المقرّر ٤٠ فلئلا يتجاوزوه كانوا ينقصون منه جلدة.

« اذ كان كثيرون قد أخذوا في ترتيب الامور **المتيقنة عندنا** كما سلّمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة رأيتُ انا ايضاً بعد **اذ ادركت جميع الاشياء من الاول بتدقيق** ان اكتبها لك بحسب ترتيبها ايها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي وُعظتَ به » (لوقا ١ : ١)

فلله هذه الشهادة التي هي من نحو سنة ٦٧ . وهي تثبت ايضاً شهادة متى ومرقس في انجيلها لانهما سبقا لوقا فضلاً عن ان متى كان أحد الاثني عشر .

واما يوحنا فان انجيله عبارة عن مذكرات **شاهد عيان** تجد في روايته تفاصيل عديدة جداً ومتنوعة للغاية تاريخية وجغرافية وأخلاقية ودينية بدقـة غريبة ولم يستطع العلماء حتى الآن ان يأخذوه بغلطة واحدة فيها .

فهؤلاء اربعة كتبة عالمون صادقون دوّنوا الكرازة الرسولية في امكنة مختلفة وأحوال وأزمنة وظروف شتى ومع ذلك فانّ شهادتهم **واحدة** . فهذا الاتفاق العجيب دليل باهر على صدق هؤلاء الكتبة وعلمهم بالحوادث التي يروونها نقلاً عن الكرازة الرسولية وتحريراً لما شاهدوه بأعينهم وسمعوه بآذانهم فلا يجوز للعاقـل مطلقاً ان يأبى تصديقها .

ولذلك يقرّ الجميع حتى العقليون بصحة الاناجيل **اجمالاً** . قال جان جاك روسو وهو الفيلسوف السفسطي المشهور بكفره وقد أنطقته

الحقيقة بما هو مطابق لها:

« أتقولنَّ ان ما يرويه الانجيل اختراع متقن؟ يا صديقي لا يكون الاختراع على هذا الشكل . وان اعمال حياة سقراط التي لا يرتاب بصحتها انسان هي **اقل تحققاً** من أعمال حياة المسيح. . . »[1]

واليك ايضاً ما قاله هرناك — وهو من اكبر علماء النقد التاريخي الكتابي في عصرنا . فهو وان كان لا يريد ان يسلّم بصحّة المعجزات المرويّة في الانجيل لانه من العقليين فانه يشهد — وهنا التناقض — ان الرواية الانجيلية التي بين ايدينا رواية اصلية صادقة:

« من ٦٠ سنة — أي نحو سنة ١٨٣٥ — ظنّ فريدريك استروس (وهو اول من باشر نقد الكتاب المقدّس من العقليين — اي غير المؤمنين بما هو فائق الطبيعة) انه أفقد الأناجيل كل قيمة تقريباً. . . ولكن اجتهاد جيلَين من علماء النقد والتاريخ اعاداها اليها بمعظمها . ليست الاناجيل مناشير « حزبيّة ». . . انها باعتبار جوهر محتواها عائدة الى الحقبة الأصلية اليهوديّة من الدين المسيحي اعني الى ذاك العصر الذي يمكن ان نسمّيه paléontologique (الأثريّ الدارس) فنشكر لعلم التاريخ حسن الحظ الذي اولاناه اذ أبقى لنا معلومات من ذاك العصر. . . ان المميّزات التي تفرّد بها الانجيل يعترف بها الآن علماء النقد عموماً فلا ريب مطلقاً اننا **باعتبار جوهرها** امام تقليد أصلي. »[2]

---

١) J. J. Rousseau, Emile l. IV, dans Œuvres, t. VII, pp 246, sqq.

٢) راجع « L'essence du Christianisme », 2ᵉ trad. franç., 1907, pp. 32-34. – cité par Lepin, Jésus Fils de Dieu XLVI.

وقال «جوليشر» وهو ايضاً من أعلام النقديين « العقليين » :

« ان الاناجيل الثلاثة الاولى **لها قيمة لا تثمن** ليس فقط ككتب دينيّة للفائدة الروحيّة بل ايضاً كمستندات «مشروعة» لتاريخ يسوع.»

فترى من شهادة هذين العالمين ــ ويمكن زيادة شهادات كثيرة اخرى ــ ان قد تحقّق الشرط الذي وضعه استروس امام النقّاد « العقليين » ليسلّم بصحّة الرواية الانجيلية وحقيقتها التاريخية اذ قال :

« ان التاريخ الانجيلي يصبح **حصناً منيعاً لا يُرام** اذا اتّضح ان مؤلفيه شهود عيان او على الأقل أناس قريبو العهد من الحوادث التي يروونها »[1]

فالانجيل هو اذًا في نظر العلماء العقليين ــ كما في نظرنا ــ مستند تاريخي متين « وحصن منيع لا يُرام » فلماذا لا يسلمون بصحّة كل ما ورد فيه ؟ لماذا يستثنون ما هو فائق الطبيعة من اقوال ومعجزات مع انهم يقرّون بان الانجيل في **جوهره** مصدر معلومات تاريخية صحيحة ؟ ان السبب **الوحيد** لهذا التناقض الذي نراه في حكم « العقليين » على الانجيل هو **ضلال فلسفي** يخيّل لهم ان **المعجزة** غير ممكنة . ولذلك لا يهتمون بالشواهد التاريخية التي تروي خبر معجزة . اسمع أحد أئمتهم رينان الشهير :

« ان اوّل مبدأ لعلم النقد هو ان المعجزة لا محلّ لها في نسيج الامور البشريّة ولا في سلسلة الوقائع الطبيعية . ان النقد . . . اول ما

---

١) Strauss, Vie de Jésus. Introduction.

يبدأ به هو المجاهرة بان كل ما هو في التاريخ له تفسير بشري.»[1]

وقال ايضاً في «حياة يسوع».

«لأن الاناجيل تروي أخبار عجائب اقول: ان الاناجيل قصصية. قد تحتوي تاريخاً غير انه من الأكيد ان ليس كل ما فيها تاريخياً.»[2]

وله ايضاً:

«ان كانت المعجزات «وإنزال» بعض الكتب أمراً حقيقياً فطريقتنا — وهي المذكورة آنفاً — **مستقبحة**.»[3]

«ان كانت المعجزة شيئاً واقعياً **فليس كتابي سوى نسيج من الاضاليل**.»[4]

فسبحان العناية الالهية التي تستعمل ضلال الكفرة لتبيّن حقيقة ما يريدون إبطاله. يقرّون انه لا اعتراض لهم على صحة الاناجيل وحقيقتها سوى ما يُروى فيها من المعجزات حتى انه اذا كانت المعجزة ممكنة لا يبقى شيء ثابت من أزعامهم ويكون الانجيل صحيحاً من كل وجه اذ ان شروط النقد العلمي تكون قد تحققت فيه جميعها. والحال ان **المعجزة ممكنة** وانكارها ضلال فلسفي[5] واضح. فطريقة

---

١) راجع Etudes d'Histoire religieuse. Paris, 1850 – Préface VII.

٢) من كتابه Vie de Jésus, 13 éd., p. VI.

٣) من الكتاب المذكور (٢) وجه ٩ من المقدّمة

٤) وجه ٥ من المقدّمة

٥) وليس مذهبهم هذا منافياً للفلسفة الحقّة فقط بل لاصول النقد العلمي

رينان واصحابه هي اذاً فاسدة والانجيل الذي بين ايدينا أثر تاريخي لا شبهة عليه.

نفسها . لانه بموجب هذه الاصول ينبغي اولاً بحث **المثبتات** لاثبات درجة الحقيقة التي يمكن نسبتها الى الحادث الذي يكون موضوع الدرس . ثم اذا صح وقوع الحادث فحينئذٍ يأتي التفسير إن كان ممكناً . أمّا « العقليون » فنهجهم بعكس ذلك يؤكدون اولاً ما في عقلهم وان فاسداً – مثلاً ان المعجزة ضرب من المحال مع ان اكبر الفلاسفة تثبتها – ثم ينفون الواقع أو يشوّهونه بما يلائم مبادئهم المعوجة . فلا تكون النتيجة الّا فاسدة

غير ان إنكار « العقليين » لما هو فائق الطبيعة لا يعفيهم من تفسير حادث يسلمون بصحته لانه كالشمس في رائعة النهار وهو ان الرسل من اوّل ساعة آمنوا بلاهوت المسيح وجاهروا به وأقنعوا المسيحيين الاولين فكيف داخل هذا الايمان كرازة الرسل والكلّ يشهدون لهم بالصدق والنزاهة والامانة ؟ هنا تتضارب الآراء عند جمهور العقليين وتتناقض ولا تزال تتجدّد كل يوم وذلك من نحو جيلين. ولا عجب لانه من المحال تزيين الباطل بجلباب الحق. وأحدث ما اخترعوه – وهو كآخر سهم في جعبتهم – ليفسّروا المسألة التي ذكرناها هو ان الرسل من فرط حبهم لمعلمهم بالغوا في تعظيمه « وتهوّسوا » حتى رفعوه

الى درجة تفوق درجة الخلائق كلها وادّعوا **انه اله** وانه عمل العجائب وقام من الموت الخ. لعمري ان مجرّد عرض هذا المذهب كافٍ لبيان فساده ومع ذلك فانّا سنبحثه لان دحضه يتيح لنا فرصة لدعم حقيقة الانجيل ببراهين جديدة. ولكننا نترك هذا البحث لمعالجته في الملحق خوفاً من الاطالة . وامّا الآن فحسبنا ان نذكر القارئ انّ مذهباً آخر وأغرب – مذهب كوشو واصحابه – [«Le mystère de Jésus». Paris, 1924, par Couchoud] ينادي بأعلى صوت ان القول – قول العقليين – بتأليه المسيح لشرح الواقع نوع من السخافة لا مثيل لها – وهذا ممّا يثبت مقالتنا – فأتوا هم بما هو أسخف فادّعوا ان المسيح « لم يكن » وان المسيحية انما هي ضرب من التمثيل الظاهر **لفكرة** الالوهية !!!
فتأمل.

نكتفي بما تقدم إثباتاً لحقيقة الانجيل بالطريقة العلمية . ومن أحب التبحر في المسألة فعليه ان يطالع المطولات مثلاً «الانجيل الشريف» للمرحوم الاب انطون رباط المذكور (ص ١٣١)

* * *

قد بيّنّا ١° ان نصّ الانجيل الحالي منقول بضبط عن النسخة الأصلية و٢° ان الانجيليّين دوّنوا بكل صدق وأمانة كرازة الرسل ملخّصةً . و٣° ان الرسل أصدق الناس اذ أمضوا وختموا شهادتهم بسفك دمائهم . وقد سلّم العقليّون بذلك وأقرّوا بان الانجيل «بجوهره» مُستنَد متين بل «حصن منيع لا يُرام» . ولكنهم استثنوا من حكمهم هذا كل ما هو فائق الطبيعة كالمعجزات لانهم يعتبرونه ضرباً من المحال . ولمّا كان هذا الاعتبار في نظر كل عاقل ولا سيما المسلم والمسيحي ضلالاً مبيناً اتضح لنا جميعاً انه يمكننا ان نستند بكل ثقة وارتياح الى شهادة الانجيل ونحن على يقين انّا امام مصدر تاريخي وثيق نستقي منه مياه الحقيقة صافيةً نقيّة . هذه هي الطريقة الثانية — العلميّة — لمعرفة ما قاله يسوع وعمله و إثبات حقيقته .

بقي علينا ٤° ان نبيّن كيف نتوصّل **في هذه الطريقة** العلميّة الى معرفة حقيقة **الوحي** . هب الانجيل أثرًا تاريخياً صحيحاً ومستندًا صادقاً لمعرفة ما قاله وعمله يسوع فكيف نستخلص منه ان ما قاله السيّد المسيح هو **منزل** ؟ لا بدّ لذلك من الاعتماد على نقطة هامّة نجدها في الانجيل .

لقد اعترف السيّد المسيح مرارًا انه يتكلم **بما سمع وعرف**

من الاب السماوي ولكن هذا لا يكفي. انه ينبغي له ان يبرهن ان ما يقوله هو من الله حقاً حتى نتسلّمه منه كوحي الربي. واين هذا البرهان في الانجيل ؟ هو في المعجزات الباهرة العديـدة وفي قداسته الفائقة الكمال التي نرى مظاهرها المتنوّعة في الانجيل . فهذه الآيات التي لا يجوز ان نرتاب في صحّتها بعد كل الذي أثبتناه تشهد شهادةً لا تُردّ ان أقوال المسيح هي الحق بعينـه يجب تصديقها لأن الله لا يؤيّد بالعجائب والقداسة اقوال الضـلال والغش . فشهادة العجائب والقداسة هي النقطة الرابعة التي بها يكمل البرهان العلمي الذي عرضناه وأثبتناه.

هذه الطريقة الثانية لمعرفة حقيقة كلام المسيح وما أوحاه الله على لسانه يمكن المسلم ان يسلكها مثلنا لأن مبادئها جميعاً علمية منطقية وسنعود اليها ان شاء الله في نشرة ثالثة. ويمكنه ان يكتفي بالطريقة الاولى التي أساسها شهادة القرآن فبموجبها يتّضح له ان الانجيل «مُلهَم» او « مُنزّل » فكلامه من الله لا يخالطه غشّ ولا ضلال البتّة ثم انه سالم من كل تحريف فهو بجوهره كما خرج من أيدي واضعيه.

ونحن المسيحيين نقبل شهادة القرآن هـذه لأنها صدى شهادة الكنيسة الاولى المتواصلة منذ نشأتها بلا انقطاع وقد ورثتها من الرسل فهي تبيّن ان الروح القدس «ألهم»[1] الانجيليين اذ ألفوا « الكتاب » برواياته الاربع.

---

١) ان اثبات هذه الحقيقة يقتضي بحثاً خصوصياً لسنا في حاجة اليه الآن

ولا حاجة في ختام هذه المقدّمات ان نبرهن ان الانجيل «لم يُنسَخ» فانه لا معنى لهذه الكلمة بالنسبة الى الانجيل كما عرّفناه اذ انه لا يتضمّن الّا حقائق جوهريّة والحقائق الجوهرية لا تُنسَخ سواء كان موضوعها خبرًا واقعياً او تعليماً الهياً. وزدْ على ذلك ان القرآن لم يدّعِ ان الانجيل قد نُسخ.[1]



١) لقد أحسن مؤلف « المسيحية في الاسلام » بيان هذه الحقيقة فراجع كتابه ص ٥٦ وما يليها.

بحث
في
حقيقة سر الثالوث الاقدس

قبل ان نتصفح الانجيل باحثين عن حقيقة الأسرار الثلاثة يحسن بنا ان نلقي نظرة الى الوراء. أي الى الكتب الالهية القديمة كالتوراة والمزامير وأسفار الانبياء. التي دُوّن فيها الوحي الذي أنزله عزّ وجل على بني اسرائيل لنرى هل سبق وعرفنا شيئاً مما نقوله نحن المسيحيين عن الأسرار الثلاثة . لان الله ليس من عادته ان يكشف لنا دفعة واحدة عن صفاته الالهية الفائقة بل يراعي ضعف بشريتنا ويُعدّ العقول والقلوب لقبول الوحي قبل ان يُنزله. لذلك نجد النور الالهي في العهد القديم يتزايد جيلاً بعد جيل حتى سطع بكامل ضيائه اذ ظهر السيد المسيح . وعليه يحقّ لنا ان نتساءل عمّا أوحاه الله من اسرار حياته الالهية في عهد انبياء بني اسرائيل . نترك الجواب على هذا السؤال لأحد مشاهير الآباء والخطباء اليونانيين في الجيل الرابع غريغوريوس النزينزي بطريرك القسطنطينية . قال :

« لقد أعلن « العهد القديم » **الاب** بوضوح **والابن** بغموض. وام[ا] العهد الجديد فقد شهر **الابن** وعرَّف لاهوت **الروح القدس** . واليو[م] [ب]ما ان الروح القدس حيّ فيما بيننا فانه يُفهمنا ذاته بنوع أجلى . قد

كان خطر في التبشير الصريح بالابن اذ كانت الوهية الآب غير مشهورة بعد وكذلك في تحميلنا علاوة عليه ـــ ان ساغ لي هذا الكلام ـــ الاعتقاد بالروح القدس طالما لم تكن الوهية الابن معتقدًا بها . لانه كان يُخشى ان يخسر المؤمنون حتى الحقائق التي كانوا يطيقون حملها كأناس أرهقتهم كثرة المآكل أو كالذين يشخصون الى قرص الشمس بأعين لا تزال ضعيفة . بعكس ذلك كان من اللازم بفضل زيادات متوالية ـــ أو كما قال النبي داود «بالترقي من مجد الى مجد» ـــ الّا يشع ضياء الثالوث الأقدس إلّا تدريجيًا[1] . »

ونعم القول . لذلك لم يرفع الربّ الستار عن حقيقة الثالوث الأقدس في العهد القديم الّا بتلميحات خفية . غير انه كشف لنا قليلًا عن سرّ البنوّة الالهية وعن سرّ الفداء . ثم لمّا ظهر السيّد المسيح أضاء نور الوحي فعرفنا به اسرار حياة الله .

وهذه السياسة الالهية قد اتّبعها يسوع في كرازته وللأسباب عينها . فانه لم يبدأ تعليمه بنشر قضايا لاهوتية تعبّر عن وجود اله واحد في ثلاثة أقانيم بل أخذ يعرّف رويدًا رويدًا **الاب السماوي** وصفاته ـــ وقد كان علماء اليهود شوّهوا مرارًا جمالها ومحاسنها ـــ **والابن** المرسَل من الآب الى هذا العالم . **والروح القدس** روحهما القدوس . وأخيرًا صرّح للرسل والتلاميذ بالسرّ العظيم وأوصاهم بان يبشّروا به في العالم كلّه . فكانت ـــ كما ترى ـــ خطّة السيّد المسيح خطّة عمليّة غايتها تنوير الجميع من أميّين وعلماء . وتهذيب قلوبهم وأخلاقهم لينالوا

(1 Orat. Théol. V. 26 Pères. Grecs. XXXVI. 161

الخلاص. وها نحن ايضاً نتبع خطة المسيح في عرض الشواهد التي تثبت حقيقة الأسرار الثلاثة.

واننا نستند خصوصاً الى أقوال السيد المسيح لبيان هذه الحقيقة الموحاة غير انه يحسن بنا ان نستشهد ايضاً بما ألهمه الروح القدس أولياءه وقديسيه من الاقوال الكاشفة لهذه الأسرار العظيمة ودونه الانجيليون بإلهام منه. فهو «كلام الله» كما برهنّا وقد سمّيناه شهادة الروح القدس.

شهادة الروح القدس

واول ما يظهر فيه ذكر الثالوث الاقدس كلام الملاك جبرائيل في بشارته للعذراء مريم بانها ستحبل من «الروح القدس» بابن «يُدعى ابن الله». (لوقا ١: ٢٦–٣٨) ثم في زيارتها لنسيبتها أليصابات (لوقا ١: ٣٩–٥٨). وفي حادث ارتياب القديس يوسف خطيبها وظهور الملاك ليعلمه بالحقيقة (متى ١: ١٨–٢٥). وفي ميلاد المسيح وتقدمته الى الهيكل (لوقا ٦: ٤–٤٠). وأخيرًا في معموديته على يد يوحنا الصابغ لمّا بلغ الثلاثين من عمره (متى ٣ — مرقس ١ — لوقا ٣: ٢١–٢٢) وشهادة يوحنا له (يوحنا ١: ٢٥–٣٥). ففي كل هذه الحوادث التي يرويها الانجيل تظهر حقيقة الثالوث الأقدس لا بصورة قانون او مرسوم سماوي ولكن بذكر ثلاثة أشخاص او «اقانيم» **متميزين** الواحد من الآخر ولكلّ منهم مع ذلك صفة **اللاهوت** واسمهم «الآب والابن والروح القدس»:

اولًا يذكر الانجيل **الله الاب** بالفاظ متنوعة : هو « الربّ » . و« الرب الاله » . و« العلي » . و« اله اسرائيل » . و« المخلص » . و« القدير » . و« القدّوس » الخ . ولا حاجة الى الدلالة على الآيات التي ترد فيها كل هذه الألقاب فانها كثيرة جدًا واما لقب **الاب** في الآيات المذكورة فهو موجود ضمنًا في تسمية شخص آخر الهي **ابن الله** وسيأتي ذكره .

ثانيًا يذكر الانجيل في الفصول الاولى التي أشرنا اليها شخصًا ثانيًا يسمّيه « ابن الله » (مرقس ١ : ١ ــ لوقا ١ : ٣٥) . و« ابن العلي » (لوقا ١ : ٣٣) . و« المسيح[1] الرب » (٢ : ١١) . و« الرب »[2] (١ : ٣ ؛ و٢ : ٣٨) . و« القدّوس » (١ : ٣٥) . و« المخلص » (٢ : ١١) . و« خلاص الله » (٢ : ٣٠) و« يسوع »[3] لانه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم » (متى ١ : ٢١) . و«عمّانوئيل الذي تفسيره الله معنا » (متى ١ : ٢٣) . و« نور الامم » لوقا ٢ : ٣٢) . فمجموع كل هذه الالقاب يبيّن انها ليست مجازية وان يسوع هو « ابن الله » حقيقة لان الله وحده « قدوس » . وحده « يخلص من الخطايا » وحده هو « الرب العلي » الخ . وستزداد هذه الحقيقة وضوحًا في ما يلي .

وهناك شخص ثالث يظهر لنا مع الشخصين المذكورين متميّزًا منهما واسمه « الروح القدس » . هذا الشخص تُنسَب اليه صفات **الرهية** .

١) لا يُسمَّى المسيح « ابن الله » لا في العهد القديم ولا في الكتب المزوّرة .
٢) « الربّ » بهذه الصورة لقب يطلقه « الكتاب » على الخالق سيّد الكل .
٣) هذا معنى يسوع في الأراميّة وكانت لغة اليهود الشائعة .

فانه يوحي الى اليصابات ما في أحشاء مريم (لوقا ١ : ٤١) . والى زكريا معرفة المستقبل فيتنبأ (لوقا ١ : ٦٧) . والى سمعان الشيخ انه سيرى المسيح الرب (٢ : ٢٥ الخ) قبل ان يموت . ويحلّ على العذراء مريم حتى تحبل بلا زرع بشري (لوقا ١ : ٣٥ — متى ١ : ٢٠) لخ . فمعرفة المستقبل وخلق الانسان وتقديس النفوس كل ذلك **عمل الهي** .

أخيرًا يتجلّى لنا الثالوث الأقدس بأقانيمه الثلاثة معاً في عماد سيدنا يسوع المسيح :

« حينئذٍ أتى يسوع من الجليل الى الاردن الى يوحنا ليتعمّد منه . فكان يوحنا يمانعه قائلًا : انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليَّ . فأجابه يسوع قائلًا : دعِ الآن فهكذا ينبغي ان نتمّم كل برّ . حينئذ تركه . فلمّا اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء . فانفتحت له السماوات ورأى روح الله — الروح القدس — نازلًا مثل حمامة وحالًا عليه . واذا صوت من السماء قائلًا : هذا هو ابني الحبيب[1] (الوحيد) الذي به سُررت[2] . »

وقد روى يوحنا المعمدان هذا الحادث العظيم وكان له شاهدًا وبه مشتركًا وأعلم به تلاميذه وكان منهم أندراوس وكيفا (بطرس) اخوه ويوحنا الحبيب اخو يعقوب الرسول الخ وقد ذكر ذلك يوحنا في انجيله (١ : ٣٢-٣٤) قال :

---

١) هذه اللفظة تترجم **حرفياً** اللفظة اليونانية التي معناها في اصطلاح ذلك العصر « الوحيد » .

٢) (متى ٣ : ١٣-١٧ . مرقس ١ : ٩-١٢ . لوقا ٣ : ٢١-٢٢)

« وشهد يوحنا (المعمدان) قائلاً : اني رأيت مثل حمامة قد نزل من السماء واستقرّ عليه . وانا لم اكن اعرفه . لكن الذي أرسلني لأعمّد بالماء قال لي : ان الذي ترى **الروح** ينزل ويستقرّ عليه هو الذي يعمّد بالروح القدس وانا عاينت وشهدت ان هذا هو **ابن الله** »

فترى في مشهد عماد المسيح **ثلاثة** متميّزًا كل واحد من الآخر ولكلّ منهم صفة اللاهوت : ١ً الذي **يعمّد** وان كان بصورة انسان لانّ صوت الله من السماء يسمّيه « ابنه الحبيب » (الوحيد) . وهو الذي سيعطي الروح القدس . وهل يستطيع ان يعطي الروح القدس الّا الله . ٢ً الذي نادى من السماء وقال : « انت ابني الحبيب » وما هو الّا **الله الآب** و٣ً **الروح القدس**[١] وهو الذي حلّ بشبه حمامة . وهو غير الآب والابن . والروح القدس كما هو مشهور في استعمال الكتاب هو روح الله اعني الله بعينه .

هذه هي الشهادة التي نجدها في فصول الانجيل الاولى وسمّيناها شهادة الروح القدس لانه هو الذي « ألهم » الانجيليين الذين دوّنوها كما قلنا وقد كانت مشهورة بين المسيحيين الاوّلين . غير ان الذي عرّفنا

---

١) يسمّيه متى «روح الله» . واماّ لوقا فيسميه «الروح القدس» ومرقس «الروح» واستعمال لفظة « روح » اليونانية مقرونة بأل التعريف – فضلًا عن ظهوره بشكل حمامة – يدل جليًا في اصطلاح لوقا وهو الكاتب البارع المشهور ان الكلام على شخص الهي . لا على قوّة الهيّة . فاذا اراد لوقا هذا المعنى الأخير استعمل لفظة روح منكّرة .

الآب والابن والروح القدس تمام المعرفة هو سيدنا يسوع المسيح . وقد أعلن الاقانيم معرّفاً كل واحدٍ على حدة اولًا ثم الثلاثة معاً .

ولا بدّ من التنبيه ان كلام المسيح الموحي لاهوت « الابن » يُنبئ ايضاً بحقيقة **تجسده** . فانه عندما يؤكد يسوع — وهو انسان حقّ — انه « ابن الله » حقاً يؤكد بالوقت نفسه انه ابن الله المتجسد — وكذا قلْ عن « شهادة الروح القدس » التي ذكرناها — الّا انّا نعتبر الآن الوهية الابن خصوصاً . وتسهيلًا للموضوع نذكر اولًا الآيات الانجيلية المتعلقة بالآب والابن ثم التي تعرّفنا الروح القدس وأخيرًا الآيات التي تشهر الثالوث الأقدس مكرّرين ملاحظتنا ان يسوع لم يجابه الشعب الغليظ الرقاب بتصريحات باهرة من أوّل ساعة والّا هاجوا وثاروا . وانما أخذ يعلّمهم الحقيقة تدريجاً على قدر طاقتهم متحرياً تقديس النفوس اولًا لتميل الى الحق ثم تنوير العقول لتخضع له .

شهادة السيّد المسيح

الفصل الاول

الآب والابن

١

أوّل ما يستلفت نظر قارئ الانجيل هو تسمية يسوع الله **أباه** **على الاطلاق** وذلك في كل ظروف حياته من صغره الى مماته الى

قيامته وصعوده الى السماء. ولم يدعهُ قطّ باسم آخر يدلّ على انه عبده وبالتالي ابنه مجازًا. وكثر هذا الاستعمال جدًا حتى انه في انجيل يوحنا وحده يرد صريحًا او ضمنًا اكثر من ١٥٠ مرّة فلا يمكن اتخاذ هذا اللقب الّا بمعناه **الحقيقي** ومنه يستدلّ حالًا ان الله آب وابن . واليك بعض شواهد على صحّة قولنا :

١ً كان ليسوع من العمر ١٢ سنة لمّا **تخلّف** عن العذراء ومار يوسف في زيارتهم الهيكل في عيد الفصح. وبقي في اورشليم بدون علمهما وهو جالس بين العلماء يسمع لهم ويسألهم. ولما وجده ابواه بعد ثلاثة ايام وشكت له امه صنيعه هذا أجابها :

« لماذا تطلبانني ؟ اما تعلمان انه ينبغي لي ان اكون فيما **لابي ؟** »

ومن البديهي انـه عنى بهذا الاسم الله لا يوسف الذي كان يسميه « اباه » (لوقا ٢ : ٤٩)

٢ً ثم لمّا بدأ يكرز ويعلّم كان يكرّر هذا اللقب مثلًا في آخر خطابه على الجبل (متى ٧ : ٢١)

« ليس من يقول لي يا ربّ يا ربّ يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل إرادة **أبي** الذي في السماوات . »

٣ً ومن جملة وصاياه للاثني عشر لمّا أرسلهم ليكرزوا (متى ١٠ : ٣٢-٣٣)

«من يعترف بي امام الناس اعترف به انا قدّام **ابي الذي في السماوات** ومن ينكرني قدّام الناس انكره انا قدّام **ابي الذي في السماوات.**»

٤ً وما أجمل ردّه على من قال له يوماً وهو يعلّم « ان امك واخوتك (اقاربك) واقفون خارجاً يريدون ان يكلموك . (متى ١٢ : ٤٧—٥٠) :

« مَن أمي ومَنْ إخوتي ؟ ثم أومأ بيده الى تلاميذه وقال : هؤلاء هم أمي واخوتي لان كل من يعمل مشيئة **ابي الذي في السماوات** هو أخي واختي وأمي . »

٥ً وفي حكمه على الفريسيين الذين كانوا يتعامون حتى لا يروا النور ويصمّون الآذان عن سماع كلمة الحق (متى ١٥ : ١٣—١٤) :

« كل غرس لا يغرسه **ابي السماوي** يُقلَع . أتركوهم . فانهم عميان قادة عميان . »

٦ً وبعد اعتراف بطرس بلاهوته (متى ١٦ : ٢٧ — مرقس ٨ : ٣٨)

« ان ابن البشر[1] مزمع ان يأتي في **مجد ابيه** مع ملائكته وحينئذٍ يجازي كل واحد بحسب أعماله . »

« مَنْ يستحيي بي وبكلامي . . . يستحيي به ابن البشر اذا أتى في **مجد ابيه** مع ملائكته القديسين . »

٧ً طلبت منه يوماً أمّ الرسولين يعقوب ويوحنا ان يُجلس احد ابنَيها عن يمينه والآخر عن يساره في ملكوته فأجابها موجّهاً الكلام الى ابنيها (متى ٢٠ : ٢١—٢٣) :

« . . . اما جلوسكما عن يميني أو يساري فليس لي ان أعطيه الّا

---

١) هذا اللقب الذي اعتاد السيد المسيح ان يتسمّى به . ورد في النبوات خصوصاً عند دانيال النبي اسماً للمسيح وقد جاء في الانجيل نحو ٨٠ مرّة .

للذين أعدّ لهم من قبل ابي .»

٨ً وما ألطف معاملته للصغار (متى ١٨ : ١٠) :

« ليس من مشيئة ابي ان يهلك أحد هؤلاء الصغار . ان ملائكتهم يعاينون وجه ابي الذي في السماوات . »

٩ً وبعد العشاء السرّي من جملة ما قاله لتلاميذه (لوقا ٢٢ : ٢٨) :

« وانتم الذين ثبتّم معي في تجاربي فأنا أُعدّ لكم الملكوت كما أعدّه لي ابي لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي . »

١٠ً وفي صلاته في بستان الزيتون وقت نزاعه[1]

« يا ابتِ ان كان يُستطاع فلتعبر عني هذه الكأس لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك . »

« ابا — ابرها الاب — ان كل شيء مستطاع عندك فأجز عني هذه الكأس . »

١١ ولمّا جاؤوا ليلقوا القبض عليه استلّ بطرس سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فقال له يسوع (متى ٢٦ : ٥١—٥٦) :

« اردُد سيفك الى غمده . . . أتظن اني لا استطيع ان أسأل ابي فيقيم لي في الحال اكثر من اثنتي عشرة جوقة من الملائكة . »

« الكاس التي أعطاني الاب ألا اشربها . » (يوحنا ١٨ : ١١)

١٢ ولمّا كان معلّقاً على الصليب والكل يوسعونه شتماً واهانة كان

١) متى ٢٦ : ٣٩ و٤٢ — مرقس ١٤ : ٣٦ — لوقا ٢٢ : ٤٢

يقول (لوقا ٢٣ : ٣٤) :

« يا ابتِ اغفرْ لهم لانهم لا يدرون ما يعملون »

١٣ وقبل ان يسلم الروح (لوقا ٢٣ : ٤٦)

« نادى يسوع بصوت عظيم قائلاً : يا ابتِ في يديك استودع روحي . »

١٤ أخيراً قبل صعوده الى السماء (لوقا ٢٤ : ٤٩) وعد تلاميذه بارساله اليهم الروح القدس :

« انا مرسل اليكم موعد ابي »

وفي هذا القدر كفاية .

فلدى سماعنا هذه الأقوال التي اتاها يسوع من أوّل حياته الى آخر دقيقة منها مَن يجوز له ان يعتبر ان كلام يسوع مجازي ؟ أما تنبعث من هذه الآيات القليلة — ويمكن ذكر عشرات اخرى مثلها — عاطفة البنوّة الحقيقية لله الآب من قلب ذاك الذي أحبه حتى الموت ؟

كان يسوع حكيماً عالماً بحقائق الامور ومعاني التعابير فلو اراد المعنى المجازي عند تسميته الله « أباه » أفما كان يشفع هذه اللفظة باخرى تدل على انه لا يقصد المعنى الحقيقي .

ثم انه كان مثال التواضع الذي لا شبيه له . فلو لم يكن ابن الله حقيقة أفكان يتجاسر ويسمّي الله اباه في حياته كلها حتى ساعة الموت اذ كان على ان يقف بين يديه ؟ والعجيب انه هو مع تواضعه اوّل من استعمل هذه اللفظة في مخاطبته الله . قال اوريجانس[1] العلّامة

---

١) في مقالته « الصلاة » ٢٢ : ١

الشهير صاحب المدرسة الاسكندرية في اوائل الجيل الثالث وشارح الأسفار المقدّسة :

« تصفحتُ كل اسفار العهد القديم فلم أعثر على انسان وإن نبياً قديماً خاطب الله وقال له: « يا أبتِ »

والحقّ يقال ان يسوع لو قصد المعنى المجازي من هذه اللفظة ولم ينبهنا قط الى مراده لكان أضلّنا وخدعنا. ومن يجسر ان ينسب مثل هذه الفظاعة الى من كان مثال القداسة بالذات ؟

نعم قد علّم تلاميذه ان يصلّوا قائلين: أبانا الذي في السماوات . » وقد سمّى الله أباهم مراراً مثلاً في قوله « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل ». ولكنه أوضح من الشمس ان هذه التسمية مجازيّة لا حقيقية لاننا نصير أبناء الله وذلك بالايمان والمحبة لله[1] . اما يسوع فهو ابن الله منذ البدء ودائماً كما ناداه الله في عماده اذ قال : « هذا هو ابني الحبيب (الوحيد) الذي به سُررتُ » .

كذلك يسمّي يسوع تلاميذه « عبيده » و« خدّامه » ومن جهة اخرى « إخوته » ايضاً وبالتالي « ابناء الله » : أفليس هذا شاهداً ان بنوّتهم مجازية[2] ؟ وزدْ على ذلك انهم لا يصبحون ابناء الله الّا بيسوع وبالايمان به (يوحنا ١ : ١٢) ولا يستطيعون ان ينالوا شيئاً من الله الّا بيسوع .

« بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً (يوحنا ١٥ : ٥)

---

١) متى ٥ : ٤٤-٤٥ . يوحنا ١ : ١٢

٢) راجع ما ورد في « المسيحية والاسلام ١ » ص ٥٠ الخ عن بنوّة المسيحيين

« ان كل ما تسألون الآب باسمي يعطيكموه . الى الآن لم تسألوا باسمي شيئاً . اسألوا تُعطَوا . » (يوحنا ١٦ : ٢٣–٢٤)

فالبون شاسع غير متناهٍ بين بنوّة يسوع **الحقيقية** وبنوّة المؤمنين **المجازية** . ولذلك لم يشترك السيّد المسيح ابداً بصلاة الرسل قائلاً معهم : « ابانا »[1] . ولا نعجب مع ذلك ان اليهود والتلاميذ ايضاً لم يفهموا كلّ معنى بنوّة يسوع في بادئ الأمر[2] انما ادركوا ان المسيح ابن الله بنوع سامٍ وهذا كان كافياً في اوائل رسالته حتى يقبلوا تعاليمه لا سيما لمّا كان يؤيدها بمعجزاته .

. . .

٢

صرّح يسوع كما رأيت انه « ابن الله » حقاً . ولم يقتصر على هذا التصريح بل برهن ايضاً **فعلاً** ان هذا اللقب حقيقي لا مجازي .

برهن اولًا اذ **ساوى** بينه وبين الله **بالسلطة التشريعية** .

كلّ يعرف ما أعظم ما كانت في اعين اليهود الشريعة الموسويّة .

---

١) يعترضون احياناً ان يسوع صلّى على الصليب قائلاً : « الهي الهي لِمَ تركتني » ولكن هذا اعتراض من لا يعرف ان العبارة المذكورة هي اوّل آية من المزمور ٢١ الذي يتنبأ فيه داود عن آلام المسيح . وعلى كل حال ليس تسمية يسوع أباه الهه ما ينافي قوّة برهاننا لان الله الآب بالنسبة الى بشريّة يسوع هو الهه حقاً .

٢) ولكنهم فهموها في آخر حياته . واعتبرها اليهود تجديفاً وكان ذلك سبب الحكم عليه بالموت .

فانهم كانوا يعتبرونها — وهو عين الصواب — شريعة الهية أعلنها موسى من قبل الربّ. وقد بالغوا في تعظيمها الى حدّ لا يُصدَّق حتى انهم كانوا يصفون الله يتلو صلاتهم ويجلس ليدرس التوراة ! ! ! فهذه الشريعة الالهية جاء يسوع يكملها **بسلطانه الخاص** وبذلك برهن ان له السلطان الذي لأبيه السماوي . راجع كرازته الاولى على الجبل — وقد جمعها مار متى في الفصل ٥ و٦ و٧ من انجيله — امام الجموع الكثيرة التي كانت تتقاطر اليه من الجليل والعشر المدن واليهودية ترَ كيف كان يسوع يكمّل الشريعة الموسوية الالهية. قال اولًا لسامعيه:

« لا تظنّوا اني أتيت لأحلّ الناموس والانبياء. اني لم آتِ لأحلّ لكن لأتمم » (٥ : ١٧)

ثم أخذ يذكر وصايا الشريعة ويعدّلها أي يرفعها الى درجة الكمال التي تناسبها :

ا) « قد سمعتم انه قيل للاوّلين: لا تقتلْ. فان من قتل يستوجب الدينونة. **اما انا فاقول لكم** : ان كل من غضب على أخيه يستوجب الدينونة » (متى ٥ : ٢١)

ب) « قد سمعتم انه قيل للأوّلين: لا تزنِ **اما انا فاقول لكم** : من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبه » (٥ : ٢٨)

ج) « قد قيل من طلّق امرأته فليدفع اليها كتاب طلاق . **اما انا فاقول لكم** : من طلق امرأته — الّا لعلّة زنى — فقد جعلها زانية . ومن تزوّج مطلّقةً فقد زنى » (٣١-٣٢)

د) « قد سمعتم ايضاً انه قيل للأوّلين : لا تحنثْ بــل أوفِ

بأقسامك . **اما انا فاقول لكم** : لا تحلفوا البتة . . . » (٣٣-٣٤)

هـ) « قد سمعتم انه قيل : العين بالعين والسنّ بالسنّ . **اما انا فاقول لكم** : لا تقاوموا الشرير . . . » (٣٨ - ٣٩)

و) « قد سمعتم انه قيل : أحببْ قريبك وأبغضْ عدوك . **اما انا فأقول لكم** : أحبّوا اعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم . وصلّوا لاجل من يعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني ابيكم الذي في السماوات لانه يطلع شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين . . » (٤٣-٤٥)

ست مرات متوالية[1] — كما رأيت — يقارن سلطته التشريعية الخاصّة بسلطة أبيه ويساويها بها . قال مار يوحنا فم الذهب[2] في هذا الصدد :

« أترون السلطة الربّية السلطة التي تليق بالمشترع ؟ من تكلّم بهذا الشكل ؟ منْ من الانبياء ، او من قدّيسي العهد القديم او من الآباء ؟ ولا واحد . كانوا يقولون : هكذا يقول الرب . **امّا الابن** فله لهجة غير هذه . هم كانوا يبلّغون اوامر سيّدهم وأمّا **هو فاوامر ابيه اعني اوامره الشخصية** لانه قال (يوحنا ١٧ : ١٠) « ما هو لي هو لك

---

١) زد على ذلك انه صرّح لليهود المتعجبين من شفائه المرضى يوم السبت انه « ربّ السبت » .

٢) Hom. XVI, 5 P. G. LV II p. 245

(يا أبتِ) وما هو لك هو لي ». هم كانوا يكلّمون بني الانسان عبيد الله مثلهم واما هو فكان يكلّم **عبيده** . »

ونعم القول. وقد انتبهت الجموع الى ذلك كما ذكر متى في آخر خطاب يسوع[1] .

« ولمّا اتمّ يسوع هذا الكلام كلّه بُهت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلّمهم **كمن له سلطان** لا ككتبتهم والفريسيين . »

فهذا الذي يسميه يسوع أباه يؤكد لنا يسوع فعلًا ان له سلطانه التشريعي . ولكن سلطان الله التشريعي لا يختلف عن كيانه الالهي اذًا ينسب يسوع الى نفسه اللاهوت . فهو اذًا كما قلنا ابن الله بكل معنى الكلمة كما شرحناه .

. .

٣ مغفرة الخطايا

يسوّي يسوع نفسه بأبيه السماوي ليس فقط بسلطته التشريعية ولكن ايضاً **بغفران خطايا** البشر . وهذا سلطان الهي بلا مراء . اذ ان الخطيئة إهانة لله والله المهان وحده له ان يغفر لمن ارتكبها . فعندما نرى « ابن البشر » يغفر الخطايا بسلطانه **الخاص** لا يسعنا الّا ان نقول : ليس هذا انساناً فقط بل هو قبل كل شيء . اله .

ذكرنا في المقالة الاولى (وفي المقدمات ايضاً ص١١) كيف شفى

---

١) متى ٧ : ٢٨-٢٩ . مرقس ١ : ٢٢

يسوع مخلعاً أتوا به اليـه ليثبت للجميع ان له سلطـان مغفرة الخطايا[1] .

« لمّا رأى يسوع ايمانهم قال للمخلّع : **يا ابني مغفورة لك خطاياك** . وكان قوم من الكتبة — وهم العلماء عندهم — جالسين هناك يفكرون في قلوبهم : ما بال هذا يتكلّم هكذا ؟ انه **يجدّف** . من يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله وحده » ؟

صدقوا . لو كان المسيح انساناً فقط لكان كلامه تجديفاً على الباري تعالى اذ انه يدّعي لنفسه ما هو لله وحده . غير ان يسوع اراد ان يبرهن للكل ان له هذا السلطان :

« **لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطانه على الارض ان يغفر الخطايا** — ثم قال للمخلّع — لك اقول قم احمل سريرك واذهب الى بيتك . فقام للوقت وحمل سريره وخرج امام الجمع حتى دهش كلّهم ومجّدوا الله قائلين : ما رأينا مثل هذا قط . »

بسلطانه الخاصّ غفر يسوع الخطايا وأيد هذا بمعجزة باهرة فلا سبيل الى انكار صفته الالهية . وبقوة سلطانه هذا الالهي **غفر** ايضاً لمريم المجدلية امـام الفريسيين المتعجبين (لوقا ٧ : ٣٦—٥٠) وللمرأة الزانية (يوحنا ٨ : ١—١١) وللّصّ التائب الذي كان مصلوباً معه عن يمينه (لوقا ٢٣ : ٤٣) . فأثبت بعمله هذا ان له ما لأبيه السماوي.

وما يدعو الى العجب والشكر ايضاً ان يسوع أعطى هذا السلطان

---

١) مرقس ٢ : ١—١٢ . متى ٩ : ١—٨

لتلاميذه ليغفروا **باسمه**.[١]

روى مار يوحنا : ان يسوع في ظهوره الأول للرسل بعد قيامته « نفخ فيهم وقال لهم : خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم تُمسَك لهم ».

فـأيّ مخلوق مهما تسامت قداسته يتجاسر ان يغفر الخطايا ويمنح البشر هذا السلطان الالهي بالنيابة عنه ؟

. . .

٤ الدينونة

اذا كان ليسوع السلطان ليغفر باسمه الخطايا فلا عجب اذا كان ينسب الى نفسـه حقّ **الحكم الاخير** على البشر والملائكة يوم الدينونة . وهذا سلطان الهي لا ريب فيـه . ولا يستعمله يسوع كمندوب من قبل الآب بل كمن له هذا الحقّ بذاته.

« ان الآب لا يدين أحدًا بل أعطى الحكم كلّه للابن **ليكرم الابن جميع الناس كما يكرمون الآب** »(يوحنا ٥ : ٢٢-٢٣)

الحكم هو للآب وللابن ايضاً ولذلك فالاكرام لكليهما **واحد**.

غير ان الابن **يأخذ** الحكم كلّه من الآب كما يأخذ منه طبيعته الالهية اذ انه ابنه . وهذا الحقّ الجوهري الذي للابن يتّضح ايضاً من تفاصيل الدينونة التي يصفها السيّد المسيح .

---

١) متى ١٦ : ١٩ و١٨ : ١٨ ويوحنا ٢٠ : ٢٢-٢٣

وصفها اولًا بأمثال لَمَّا كان بعد في الجليل ولا سيما بمثل الزؤان (متى ١٣: ٢٤-٤٣) قال:

« يشبه ملكوت السماوات رجلًا زرع زرعاً جيدًا في حقله . وفيما الناس نائمون جاء عدوّه وزرع في وسط القمح زؤاناً ومضى ».

فلما نما القمح ظهر الزؤان فأراد عبيد الرجل ان يقلعوه . فمنعهم سيدهم لئلا يقلعوا القمح معاً وأمرهم ان ينتظروا وقت الحصاد . وحينئذٍ يجمعون القمح ليضعوه في الاهراء . وكذلك الزؤان ليحرقوه .

ولمّا انتهى يسوع من تعليم الجموع جاء الى البيت الذي كان نازلًا فيه فسأله تلاميذه ان يفسّر لهم المثل (٣٦) فاجاب وقال لهم:

« الذي زرع الزرع الجيّد هو ابن البشر . والحقل هو العالم . والزرع الجيّد هو بنو الملكوت . والزؤان هو بنو الشرير . والعدو الذي زرعه هو ابليس . والحصاد هو منتهى الدهر . والحصادون هم الملائكة . وكما ان الزؤان يُجمع ويُحرق بالنار هكذا يكون في منتهى الدهر . يُرسل ابن البشر ملائكته فيجمعون من مملكته كل الشكوك وفاعلي الاثم فيلقونهم في اتون النار . هناك يكون البكاء وصريف الأسنان حينئذٍ يضيء الصديقون مثل الشمس في ملكوت ابيهم ».

من هذا المثل يتبيَّن لك مَنْ هو الديَّان وكيف يدين العالم .

الديَّان هو «ابن البشر» سيّدنا يسوع المسيح . ملك الخلائق أجمع . في مملكته الصديقون الذين زرعهم هو اي انه اختارهم وقدّسهم بروحه القدوس . وفيها الأشرار الذين زرعهم الشرير في وسطهم اي الذين انقادوا الى وساوس الشيطان واتّبعوه .

يجمع الملائكة بأمر الملك يسوع البشر اجمعين ثم يأتي هذا الديّان ويُصدر حكمه المطلق «فيلقي ملائكتُه فاعلي الاثم في اتون النار». واماّ الصدّيقون «فيجمعونهم في الاهراء» اي في مملكة ابيهم السماوي وهي مملكة ابن البشر. وهذا الحكم حكم مَنْ له السلطان الأعلى على كل الخلائق وهو سلطان الهي لا يجوز لانسان[١]. وقد اعترف به الاسلام نفسه لسيدنا يسوع المسيح ولم يتنبه انه ينسب الى يسوع ما هو مختصّ بالله وحده[٢].

. . .

٥

ذكر السيّد المسيح الدينونة الأخيرة بتفاصيلها في اورشليم لا سيّما في ايأم حياته الأخيرة ووصفها اتمّ الوصف امام تلاميذه (متى ٢٥) ولا بأس من الاستشهاد بكلامه هنا تكملةً للموضوع وإن كنّا لا نزال نتبع آثاره في اول مدّة كرازته.

روينا كلام يسوع على الدينونة في نشرتنا الاولى (ص ٤٧-٤٨) لنبرهن ان المسيحي يؤمن « بالجزاء الذاتي » ونذكر هنا بعض أقواله لنثبت انه يدين العالم **بسلطانه الخاص** فهو بذلك مساوٍ لأبيه السماوي في الحكم وبالتالي في اللاهوت . قال :

١) هذا ما يتّضح ايضاً من مثل العذارى (متى ٢٥ : ١-١٣) ومثل العبيد (متى ٢٤ : ٢٧-٥١) ومثل الوزنات (متى ٢٥ : ١٤-٣٠) وهذه الأمثال قدّمها يسوع كتوطئة لوصف الدينونة الأخيرة (متى ٢٥ : ٣١-٤٦)

٢) من «صحيح البخاري جزء ٣ ص ١٠٧» نقلاً عن «المسيحية في الاسلام» وجه ١٤٧ : «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً »

« ومتى جاء ابن البشر في **مجده** وجميع ملائكته معه فحينئذ يجلس على عرش مجده وتجمع لديه كل الأمم فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعي الخرفان من الجداء . ويقيم الخرفان عن يمينه والجداء عن يساره » .

هذا هو القاضي . **هو الملك** يأتي في «مجده» «ويجلس على عرش مجده» **وباسمه** يصدر القضاء الأخير[1] .

وما هي حيثيات حكمه الأخير الذي لا يُستأنَف ؟

« يقول **الملك** للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركي **ابي** رثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم لاني جعتُ فأطعمتموني . وعطشت فسقيتموني وكنت غريباً فآويتموني وعرياناً فكسوتموني ومريضاً فعدتموني ومحبوساً فأتيتم اليّ . (٣٤-٣٦)

فيتعجب الصديقون ويسألونه متى رأوه جائعاً فاطعموه الخ .

«فيجيب **الملك** ويقول لهم : الحقّ اقول لكم انكم كلما فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه » (٤٠)

فسبب خلاص الصديقين هو حبّهم للسيّد المسيح وإحسانهم اليه في شخص اخوته الصغار المؤمنين به .

وكذلك سبب هلاك الاشرار إهمالهم هذا الحبّ وهذا الإحسان (٤١-٤٥)

---

١) في أجمل وصف للمسيح وصفه به اليهود في كتبهم القديمة غير القانونية لا يحكم المسيح إلّا «باسم ربّ الارواح» وذلك لانهم لم يعتبروه إلّا كإنسان

« فيذهب هؤلاء الى العذاب الأبـدي والصديقون الى الحياة الأبديّة . (٤٦)

فحيثيات هذا الحكم تدلّ ايضاً ان المسيح يحكم بقوة **سلطانه الخاصّ**.

كان المسيح أوصى[1] — بما انه مشترع كما سبق وبيّنّا — بمحبة القريب فحفظ الصديقون وصيته والأشرار أهملوها فكان يسوع القاضيَ كما كان المشترع. فحاز الأولون الخلاص ونال الآخرون الهلاك فتمّ ما قاله السيد المسيح لليهود بعد ان شفى مقعد بحيرة بيت حِسْدا باورشليم (يوحنا ٥):

« كما ان الآب **له الحياة في ذاته** كذلك أعطى الابن ان تكون **له الحياة في ذاته** . وأعطاه سلطاناً ان **يجري الحكم** بما انه ابن البشر » (٥ : ٢٦-٢٧)

« ليكرم الابنَ جميعُ الناس كما يكرمون الآب » (٥ : ٢٣)

فالمساواة تامة بين الآب والابن . فلكليهما سلطان التشريع. ولكليهما سلطان القضاء . لان لكليهما وحدة الجوهر.

ويُستفاد من حيثيات الحكم نتيجة أخرى تزيد ما قلناه قوة لا مثيل لها.

سأل أحد العلماء يسوع يوماً ما أعظم الوصايا (متى ٢٢ : ٣٦) فأجابه يسوع : « أحب الربّ الهك بكل قلبك وكل نفسك وكلّ

---

١) متى ٥ : ٤٣-٤٨ يوحنا ١٥ : ١٢ و١٧ الخ.

ذهنك . هذه هي الوصيّة العظمى والاولى . والثانية التي تشبهها : أحبب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلّق الناموس كلّه والأنبياء» (متى ٢٢ : ٣٧-٤٠)

فكيف «طبّق» القاضي الأعلى هذا القانون في حكمه النهائي ؟

حبّ المسيح مع حبّ القريب لأجله كان سبب خلاص القديسين . وعدم **حبّ المسيح** مع عدم حبّ القريب لأجله كان سبب هلاك الأشرار . فالنتيجة باهرة :

محبّة المسيح هي محبّة الله.

فالمسيح هو اذاً «ابن الله» حقاً وله المحبّة واجبة كما لأبيه.

. . .

٦

لم **يصرّح** السيّد المسيح امام الجموع في الجليل بلاهوته وسلطانه الأعلى حذراً من تهييج الشعب وكان سريع الغليان ينتظر مسيحاً جبّاراً يخلّصهم من عبودية الرومان. فكان يكلّمهم بالرموز والأمثال ويؤيّد سلطانه بأقوال يفهمها المتأمل العاقل وخصوصاً بعجائبه الفائقة . وأجمل برهان على صحّة طريقته هذه ما حدث قبل انتقاله نهائياً من الجليل.

روى متى[1] ان السيّد المسيح بعد مقتل يوحنا المعمدان كان قد انطلق مع تلاميذه الى موضع قفر فتبعه جماهير عديدة يستمعون تعاليمه ولا يبالون بما يغتذون به فتحنّن عليهم يسوع وأطعمهم بخمسة ارغفة

---

١) متى (١٤ : ١٥-٢٢) ومرقس (٦ : ٣٤-٤٤) ويوحنا (٦ : ٥-١٥)

وسمكتين — وكان عددهم خمسة آلاف ما عدا الصبيان والنساء — فتحمس الشعب وقال هذا هو النبي الآتي وارادوا ان يمسكوه ويقيموه ملكاً فعلم يسوع مرادهم وانصرف وحده الى الجبل . وكان ليلٌ . وأمرَ تلاميذه ان يركبوا سفينةً ويبتعدوا.

وحدثت في ذلك الليل زوبعة هائلة كادت تغرق السفينة فجاء يسوع ماشياً على البحر وهدأ هيجانه ونجّى تلاميذه فنزلوا جميعاً الى البرّ . فترى حكمة السيد المسيح في تصرفه مع الجموع في الجليل غير انه اراد قبل ان يبتعد عن بلاده ان يزيدهم معرفة بذاته وبأبيه متحاشياً كل ما من شأنه ان يهيّجهم .

أخبرنا يوحنا (٦:٢٢ الخ) ان الجموع حاولوا ان يجتمعوا بيسوع ثانيةً فوجدوه نحو كفرناحوم . فتنازل المسيح وخاطبهم ملياً ومن جملة اقواله:

« اعملوا لا للطعام الفاني بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكموه ابن البشر لان هذا قد ختمه **الاب الله** » (٦:٢٧)

فطلبوا منه ان يعطيهم هذا الخبز. فاغتنم يسوع الفرصة وكاشفهم بشيء عن ذاته الالهية . فقال لهم :

« انا **خبز الحياة** من يُقبِل اليَّ فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش الى الأبد . . . لاني **نزلت من السماء** لا لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني . وهذه هي مشيئة **الاب الذي ارسلني** ان لا أتلف من كل ما أعطاني شيئاً لكني أُقيمه في اليوم الأخير. وهذه

هي مشيئة **ابي** الـذي أرسلني ان كل من **يرى الابن ويؤمن به** تكون له الحياة الأبدية . . . (٣٥–٤١) . . . كلّ من سمع من الآب وتعلّم يقبل اليَّ **لا انه احد رأى الاب سوى الذي من الله.** فهذا قد رأى الآب » (٤٥–٤٦)

في كل هذا الخطاب نسمع يسوع يصرّح بوجود الله **الاب** ويعرفنا وجود الله **الابن** بعبارات متنوّعة لا تترك لمن يتأملها سبيلاً الى الارتياب . فانه يسمّي هذا « الله الآب » أباه . وهو وحده « رأى الآب » « ونزل من السماء » مرسلاً من عنده وله سلطان ان يحيي الموتى ويعطي الحياة الأبدية لكل من يؤمن « بالابن » اي به . ومع تذمّر اليهود عليه لانه قال « انا هو الخبز الذي نزل من السماء (٤١) زادهم علماً وكرّر قوله :

« انا خبز الحياة . . . اباؤكم اكلوا المنّ في البريّة وماتوا . . . انا الخبز **الحي** الذي **نزل من السماء** لكي لا يموت من يأكل منه » (٤٨–٥٠)

« كما أرسلني **الاب الحي** وانا **احيا بالاب** فالذي يأكلني يحيا هو ايضاً بي » (٥٨)

يحيا الابن — وهو يسوع — بحياة الآب . فحياته حياة الآب . هذا هو سرّ التثليث بالنظر الى الاقنومين الاول والثاني

والذي يأكل خبز الحياة — وهو جسد المسيح في القربان — يحيا بالمسيح وهذا هو سرّ التبني كما عرضناه في مقالتنا الاولى

هذا اوضح كلام قاله يسوع امام الجموع عن الاقنومين الاول والثاني فتذمر اليهود منه وأخذوا يرتدون عنه « حتى ان كثيرين من تلاميذه رجعوا عنه ولم يعودوا يمشون معه » مستصعبين كلامه (٦١). فقال للاثني عشر : « ألعلكم تريدون انتم ايضاً أن تمضوا . فاجاب سمعان بطرس : يا ربّ الى من نذهب ان كلام الحياة الأبدية هو عندك . وقد آمنا وعرفنا انك انت **قدوس الله**[1] » (٦٨—٧٠)

هل يمكن بعد كلّ ما تقدّم ان نقول ان مراد السيد المسيح عندما يذكر الآب والابن انما هو نبي الله ليسوع وللبشر ؟ ؟

. . .

٧ ابن الآب الطبيعي

ترك يسوع الجليل آسفاً على ما رآه من قلة ايمانهم مع ما صنعه امامهم من المعجزات الباهرة وجاء مع رسله الاثني عشر الى نواحي صور وصيدا[2] وبعد ما شفى هناك ابنة الوثنية الكنعانية (متى ١٥ : ٢١—٢٨) واتى الى جانب بحر الجليل حيث أطعم ثانية الجموع (متى ١٥ : ٣٠—٣٩) بسبعة أرغفة وقليل من السمك ارتحل الى نواحي مدينة قيصرية فيلبس (بانياس) عند نبع الاردن (متى ١٦ : ١٣) وهناك صرّح بلاهوته امام الاثني عشر

روى متى في انجيله (١٦ : ١٣—١٩) إن يسوع « سأل تلاميذه قائلاً : من تقول الناس ان ابن البشر هو ؟ فقالوا : قوم يقولون انه يوحنا

١) هذه الترجمة هي أضبط من التي وردت في نصّ المطبعة الكاثوليكية

٢) متى ١٦ — مرقس ٧ و٨

المعمدان وآخرون انه إيليا وآخرون انه إرميا او واحد من الانبياء . قال لهم يسوع : وانتم مَنْ تقولون اني هو ؟ أجاب سمعان بطرس قائلاً : انت المسيح ابن الله الحي . فأجاب يسوع وقال : طوبى لك يا سمعان بن يونا فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا لكن أبي الذي في السماوات . وانا أقول لك : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكلّ ما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السماوات . وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السماوات »[1]

« انت المسيح ابن الله الحيّ » . لم يرضَ يسوع بما نقلوه اليه من اقوال الشعب وانه نبيّ من الانبياء ومن أعظمهم وبالتالي انه مثلهم « ابن الله » بالتبنّي فألحّ حتى ينال منهم جواباً آخر . فبادرهم بطرس وقال له : « انت المسيح ابن الله الحيّ » فأثنى عليه يسوع ثناء جميلاً وطوّبه لان أباه السماوي أوحى اليه هذا الجواب . وجازاه اعظم جزاء على ايمانه بان جعله رئيساً لكنيسته فاثبت يسوع بذلك انه ابن الله حقاً لا مجازاً . قال مار يوحنا فم الذهب : « لو لم يعترف بطرس بيسوع انه مولود من الاب لما كان هناك وحي من عند الآب . ولو فكّر

---

١) حاول بعض النقّاد « العقليين » ان ينكروا صحّة هذه الرواية . ولكن عبثاً لانها موجودة في النسخ الأصلية ولان انشاءها واصطلاحاتها والتشابيه المستعملة فيها وكل صيغتها تنادي بانها رواية عبرانيّ لعبرانيين لا يمكن ايجادها بعد سنة السبعين سنة خراب اورشليم وتبدّد الشعب اليهودي في كل اقطار المسكونة . فضلاً عن ان كل الكتّاب المسيحيين الأوّلين يشهدون بصحتها .

بطرس ان يسوع لم يكن الّا أبناً من جملة ابنا. كثيرين لما كان استحق اعترافه هـذا الثناء » ولا تلك المجازاة الفائقة بان يكون رئيس الكنيسة التي عزم يسوع ان يؤسسها . فلا يمكن اذاً ان يكون أدنى ريب في معنى الآية « انت المسيح ابن الله الحيّ » .

ومن تلك الساعة تيقّن الرسل ان يسوع هو المسيح المنتظر وانه علاوة على ذلك ابن الله حقاً[1] . فانتهز يسوع هذه الفرصة لينبئهم بما يحلّ به من الآلام لانهم لم يكونوا قادرين قبلًا ان يحملوا هذا النبأ وحثّهم على الكفر بالذات واتّباعه قائلًا : « من يستحيي بي وبكلامي يستحيي به ابن البشر اذا جاء في **جلاله وجلال الاب** بين الملائكة القديسين » (لوقا ٩ : ٢٦)

. . .

٨

« وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية ايام أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد الى جبل ليصلّي[2] » (لوقا ٩ : ٢٨)

يروي متى ومرقس ولوقا[3] خبر « التجلي » والعجيب ان ثلاثتهم يعيّنون وقت هذا الحادث العظيم ليفهمونا ان السيّد المسيح اراد ان يظهر مجده اثباتاً لحقيقة لاهوته وتشجيعاً لتلاميذه على قبول آلامه .

أخذ معه الثلاثة الذين سيشهدون نزاعه في جبل الزيتون

« وتجلّى امـامهم وأضاء وجهُهُ كالشمس وصارت ثيابه بيضاء

---

١) لم تكن هذه الصفة من خصائص المسيح في اعتبار عامّة الشعب والعلماء .

٢) جبل طابور على الغالب .

٣) متى ١٧ – مرقس ٩ – لوقا ٩

كالثلج . واذا موسى وايلياً قد تراءيا لهم يخاطبانه ـــ وكانا يتكلمان عن خروجه[1] الذي كان مزمعاً ان يتممه في اورشليم (لوقا) ـــ فأجاب بطرس وقال ليسوع : يا ربّ حسن لنا ان نكون ههنا وإنْ شئتَ فلنصنعْ ههنا ثلاث مظالّ واحدة لك وواحدة لموسى وواحدة لإيلياً . وفيما هو يتكلّم اذا سحابة منيرة قد ظلّلتهم وصوت من السحابة يقول : **هذا هو ابني الحبيب (الوحيد) الذي به سُررتُ** فله اسمعوا . فلمّا سمع التلاميذ سقطوا على أوجههم وخافوا جدًا . فدنا يسوع اليهم ولمسهم قائلًا : قوموا لا تخافوا . فرفعوا أعينهم فلم يروا الّا يسوع وحده . وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلًا : لا تُعلموا أحدًا بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الأموات (متى ١٧ : ٢-٩)

هذه مرة ثانية يشهد فيها الآب السماوي لابنه الحبيب ـــ وكان قد شهد له المرّة الاولى يوم عماده ـــ امام ثلاثة من رسله . وبكلامه السماويّ يثبت الربّ كلام بطرس القائل : انت المسيح ابن الله الحيّ »

ويؤيد رواية الانجيليين الثلاثة القديس بطرس في رسالته الثانية (١ : ١٦-١٨) فانه بعد أن أوصى المسيحيين بالثبات على الأعمال الصالحة رغم الاضطهادات يقول :

« انا لم نتبع خرافات مصنّعة إذ أعلمناكم قوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئه بل **كنا معاينين جلاله** لانه أخذ من الله **الاب** الكرامة والمجد اذ جاءه من المجد الفخيم صوت يقول : **هذا هو ابني الحبيب الذي**

---

١) آلامه وموته

به سررت . **وقد سمعنا نحن هذا الصوت** الذي جاء من السماء حين كنّا معه في الجبل المقدّس . . »

يسوع هو **ابن الله** الوحيد . وقد أخذ من **الله الاب** الكرامة والمجد » . هذا هو سرّ التثليث بالنسبة الى الاقنومين الاوّلين .

. . .

٩

ارتحل يسوع من الجليل ولم يعُدْ يعلّم الجموع بذاته . وانصرف الى ما وراء الاردن الى « المدن العشر » التي في شماليه ومن هناك كان يتردّد الى اورشليم في الأعياد الكبرى حتى عيد الفصح الأخير حين صُلب . وكان جلّ اهتمامه في هذه البرهة من حياته تعليم تلاميذه وتهذيبهم غير انه كان يرسلهم الى بقع مختلفة حتى يعلّموا . وبمناسبة احدى هذه الرسالات جاهر يسوع بلاهوته أصرح واجمل مجاهرة .

روى متى (١١ : ٢٥ الخ) ولوقا (١٠ : ١٧ – ٢٢) ان السيد المسيح لمّا كان في ارض ما وراء الاردن أرسل ٧٢ تلميذاً ليكرزوا بملكوت الله وأعطاهم سلطاناً ليشفوا المرضى ويطردوا الشياطين فرجعوا من رسالتهم فرحين يقولون : « ان الشياطين تخضع لنا باسمك » . ففي تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح وقال :

« اعترف لك **يا أبتِ** ربّ السماوات والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والعقلاء وكشفتها للأطفال . نعم **يا أبتِ** لانه هكذا حسن لديك »

«كل شيء. قد دُفع اليَّ من أبي. **وليس احد يعرف الابن الا الاب ولا احد يعرف الاب الا الابن** ومن يريد **الابن** ان يكشف له.»

تعالَوا اليَّ يا جميع المتعَبين والمثقلين وانا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني. اني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم لان نيري ليّن وحملي خفيف.»

لله هذه الاقوال! أيستطيع بشر وان كان نبياً وأعظم الأنبياء ان يخاطب الله بمثل هذا الكلام ويدعو كل الناس الى اتّباعه واعداً اياهم بالراحة لانفسهم.

يسمّي يسوع الله **اباه** على الاطلاق كعادته فهو اذاً **ابنه**.

ثم يصرّح ان **اباه دفع اليه كل شيء**[1] فله اذاً السلطان التامّ غير المتناهي الذي لأبيه. وهذا لا يجوز ان يقوله انسان لا يكون الّا انساناً. وبقوة هذا السلطان يعرّف من يشاء بأبيه ويخلّص من يتتلمذ له ويحمل نيرَ وصاياه. وهذا ايضاً من خصائص الالوهية.

وفوق كل ذلك يشهر السيّد المسيح **المساواة التامة** بينه — اي بين **الابن** — وبين **الاب** السماوي: «ليس أحد يعرف الابن الّا الآب ولا أحد يعرف الآب الّا الابن» فهذان «اقنومان» **متميزان** آب وابن

---

١) وشهد يوحنا قبل ان يُلقى في السجن (يوحنا ٣: ٣٥) «ان الآب يحبّ الابن وقد جعل في يده كلّ شيء.»

ومتساويان . لان معرفة الابن للآب مساوية لمعرفة الآب للابن فمعرفة الابن هي اذاً غير متناهية كمعرفة الآب . ولكن المعرفة في الله لا تختلف عن كيانه الالهي او طبيعته . فطبيعة الابن هي اذاً مساوية لطبيعة الآب وبكلام آخر طبيعة الابن هي طبيعة الآب اذ ان الطبيعة الالهية واحدة .

هـذه اول مرّة تتجلّى لنا في كلام السيد المسيح ذكرى الآب والابن وتساويهما امام التلاميذ وبصورة لا تدع للريب سبيلاً . وستزداد شهادة يسوع المسيح بلاهوته وضوحاً في اورشليم[١] امام الافراد وامام الجموع حتى أصبح ذلك سبب موته .

. .

١٠

زار يسوع اورشليم في اول فصح احتفل به بعد ابتداء كرازته . وروى يوحنا (٣: ١٠–٢٢) انه كان وقتئذٍ في اورشليم رجل من الفريسيين اسمه نيقودمس وكان عظيماً فيما بينهم فهذا جاء الى يسوع ليلاً — خوفاً من اخوانه — ليستفتيه عن الخلاص . فاجابه يسوع انه ينبغي للانسان حتى يدخل ملكوت الله ان « يولد ثانية من الماء والروح القدس » وبذلك يصبح ابن الله بالتبنّي . فلم يفهم نيقودمس . فاجاب يسوع (٣: ١٠–١٨):

١) كان يسوع يجاهر بصفاته الالهية في اورشليم لانه لم يكن له للتحفظ السبب الذي كان يحمله عليه في الجليل وخصوصاً لان علماء الناموس كانوا يحاجّونه فيضطرّ الى الردّ عليهم .

« أتكون معلماً في اسرائيل ولا تعلم هذا . الحق اقول لك : اننا **ننطق بما نعلم ونشهد بما رأينا** ولستم تقبلون شهادتنا . ان كنت قد قلتُ لكم الأرضيات ولم تؤمنوا فكيف إن قلت لكم السماويات تؤمنون ؟ ولم يصعد أحد الى السماء الَّا الذي **نزل من السماء** ابن البشر الذي **هو في السماء** وكما رفع موسى الحيّة في البرّية[1] هكذا ينبغي ان يُرفع ابن البشر لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية . لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى انه **بذل ابنه الوحيد** لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية . فانه لم **يرسل الله ابنه** الى العالم ليدين العالم بل **ليخلص به العالم** . من آمن به فلا يدان ومن لا يؤمن به فقد دين لأنه لم **يؤمن باسم ابن الله الوحيد** ... »

ما اكثر الحقائق التي يبوح بها هنا السيد المسيح . وما أوضحها لا سيّما اذا تأملنا مجموعها .

يسوع « ابن البشر » ـ كما يسمّي نفسه ـ نزل من السماء وهو لا يزال في السماء : كيف يمكن ذلك ؟ لا يمكن الَّا اذا كان ابن البشر الهاً وانساناً معاً : هذه اشارة واضحة الى سرّ التجسد .

سيُرفع ابن البشر على الصليب كما رفع موسى الحيّة في البريّة حتى يُشفى من لسعات الحيّات كل من ينظر اليها . هذا رمز الى سرّ الفداء بموت « ابن البشر » على الصليب والى الخلاص « لمن يؤمن باسمه »

١) سفر العدد ٢١ : ٩

وهذا « ابن البشر » هو **ابن الله الوحيد** أرسله أبوه وجعله ضحيّة عن البشر لخلاصهم . فهو اذًا **غير الاب** ومع ذلك **بجوهر الاب** لانه ابنه الوحيد. هذان اقنومان من سرّ الثالوث الأقدس.

. . .

١١

كان يسوع في اورشليم في غضون أحد الأعياد (يوحنا ٥) وهو على الغالب الفصح الثاني الذي قضاه يسوع على الأرض بعد إطعام الجماهير في البرية لاوّل مرّة. ولمّا كان هناك أبرأ مقعدًا سقيماً من ٣٨ سنة كان منطرحاً في اروقة « بركة بيت حِسْدا » (٥ : ٥—٩) وحمّله سريره وذلك في يوم سبت .

« فلهذا (٥ : ١٦—١٨) كان اليهود يضطهدون يسوع لانـه صنع هذا في السبت . فأجابهم يسوع : ان **أبي** حتى الآن يعمل وأنا ايضاً أعمل . فازداد اليهود لأجل هـذا طلباً لقتله ليس لأنه كان ينقض السبت فقط بل ايضاً لأنه كان يقول « ان الله ابوه » **مساوياً نفسه بالله** .

« فأجابهم يسوع وقال لهم : الحقّ الحقّ اقول لكم ان **الابن** لا يقدر ان يعمل من نفسه شيئاً الّا ما يرى **الاب** يعمله . لانه **مهما يعمله ذاك فهذا يعمله الابن على مثاله** لأن الآب يحبّ الابن ويريه جميع ما يعمل . وسيريه أعظم من هذه الأعمال لتتعجّبوا انتم (٥ : ١٩ : ٢٠) »

« لانه كما انّ **الاب** يقيم الموتى ويحييهم كذلك **الابن** يحيي من يشاء. لأن **الآب** لا يدين أحدًا بل أعطى الحكم **للابن ليكرم الابن** جميع الناس كما **يكرمون الاب**. ومن لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله. . . لأنه كما ان **الاب له الحياة في ذاته** كذلك **أعطى الابن ان تكون له الحياة في ذاته** وأعطاه سلطاناً ان يُجري الحكم بما انه ابن البشر. . . » (٥ : ٢١–٢٧)

ما أصرح هذا الكلام ! ويمكنك ان تزيد باقي ما قاله يسوع حينئذٍ وجاء مذكورًا في الفصل (٥ : ٢٨–٤٧) . وقد أحسن اليهود فهمه. فكانوا يطلبون قتله لأنه جعل نفسه ابن الله ومساوياً لله. وفي الواقع يساوي يسوع نفسه بالله الآب :

« ما يعمله الآب يعمله الابن »

« كما ان الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن يحيي من يشاء »

« ليكرم الابن جميع الناس **كما** يكرمون الآب. . . »

« كما ان الآب له الحياة في ذاته كذلك **اعطى** الابن ان تكون له الحياة في ذاته. »

فكل هذه الأقوال تعلن صريحاً ان يسوع ابن الله بكل معنى الكلمة . له من الله الآب الحياة **الغير المخلوقة** كما ان الآب له الحياة **الغير المخلوقة** لان هذا معنى قوله « له الحيــاة في ذاته ». له من الله الآب القدرة الغير المتناهية ليعمل اعمال أبيه. حتى ان اكرامًا واحدًا

واجب للآب والابن فالآب والابن هما اذاً اله واحد وهما اقنومان متميّزان .

. . .

١٢

رسول الآب الحي

بعد شفاء مقعد بيت حسدا الذي ذكرناه ابتعد يسوع عن اورشليم لان اليهود كانوا يطلبون قتله لانه **قال انه يقول ان الله ابوه** . وكان اقاربه (يوحنا ٧) يلحّون عليه ان يظهر نفسه للعالم في اورشليم . فلمّا جاء عيد « المظالّ » — وكان من أعظم اعيادهم يقع في الخريف (في اواخر سبتمبر) — صعد يسوع الى اورشليم ولكن سرّاً ثم أخذ يعلّم جهراً ولاوّل مرّة في أروقة الهيكل فتجمهر حوله جمع غفير يسمعه ويحاجّه .

« وكان اليهود يتعجبون قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلّم فأجابهم يسوع وقال : ان تعليمي ليس هو لي بل **للذي ارسلني** . . . (١٥-١٦) .

« فقال اناس من اورشليم : أليس هذا الذي يطلبون قتله وها انه يتكلّم علانية ولا يقولون له شيئاً . العلّ الرؤساء تيقّنوا ان هذا هو المسيح ؟ الّا ان هذا قد علمنا من اين هو امّا المسيح فاذا جاء فلا يعلم أحد من اين هو[١] . فصاح يسوع في الهيكل وهو يعلّم وقال : انتم تعرفوني وتعلمون من اين انا . وانا لم **آتِ من عندي** ولكن الذي أرسلني مُحقّ وانتم لا تعرفونه . امّا انا فأعرفه **لاني منه وهو**

١) وهذه من اساطير اليهود لا أثر لها في « الكتاب » .

ارسلني ...

« وفي اليوم الآخر من العيد وقف يسوع وصاح قائلاً : ان عطش احد فليأتِ اليَّ ويشرب . مَنْ آمن بي فكما قال الكتاب سيجري من جوفه ماء حي[1] . وانما قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه . »

ظاهر معنى كلام يسوع . لم يأتِ من عنده بل الله الذي أرسله لأنه منه والذي يؤمن به سيعطيه الروح القدس ومن يعطي الروح القدس الَا الله وحده ؟

ولا يمكننا ان ننقل كل ما ورد في انجيل يوحنا في هذه الفصول الأخيرة فاناً نقتصر على بعض فقرات لا تغني القارئ عن مطالعة النص كله .

. . .

١٣

في ذاك العيد عينه ــ عيد المظالّ ــ كانوا يقيمون حفلة ثانية غير حفلة الاستقاء. وهي حفلة التنوير ذكرًا للغمام النيّر الذي كان يسير امام بني اسرائيل في البريّة. فانتهز يسوع هذه الفرصة وقال لليهود :

« انا نور العالم (يوحنا ٨ : ١٢) ... انتم من أسفل وانا من

١) في هذا تلميح الى حفلة كانت تقام في ذاك العيد تذكارًا للماء الذي أخرجه موسى بأمر الله من الصخرة في حوريب في البريّة وكان الشعب قد كاد يموت من العطش (سفر الخروج ١٧)

فوق . انتم من هذا العالم وانا لست من هذا العالم (٢٣) ... خرجت من الله وأتيتُ ولم آتِ من نفسي بل هو ارسلني (٤٢) »
« والذي أرسلني هو معي ولم يدعني وحدي لاني أفعل ما يرضيه كل حين » (٢٩) وكرّر انه لا يتكلّم من عنده بل كما علمه الاب (٢٨) .

وأخذ يقرّع اليهود ويبكتهم ويكشف خطاياهم ويقابل بين اعمالهم وأعمال ابرهيم الذي كانوا يفتخرون انهم ابناؤه ويبيّن لهم انهم بخطاياهم أصبحوا ابناء الشيطان (٤٤) فهاجوا وقذفوه بالشتائم وقالوا :
« الآن علمنا ان بك شيطاناً . قد مات ابرهيم والأنبياء وانت تقول (٥١) : إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت الى الأبد . العلّك اعظم من ابرهيم ابينا الذي مات والأنبياء ماتوا . من تجعل نفسك ؟ أجاب يسوع : ان كنت انا أمجّد نفسي فليس مجدي شيئاً . ابي هو يمجدني وهو الذي تقولون انه الهكم . وانتم لم تعرفوه . واما انا فأعرفه ... وأحفظ كلامه . ابرهيم ابوكم ابتهج حتى يرى يومي . فرأى وابتهج[1] . فقال له اليهود : لم يأتِ لك بعد خمسون سنة وقد رأيت ابرهيم ؟ فقال لهم يسوع : الحقّ الحق اقول لكم . قبل ان يكون ابرهيم انا كائن . فأخذوا حجارة ليرجموه . فتوارى يسوع وخرج من الهيكل . » (٥٢ - ٥٩)

« قبل ان يكون ابرهيم انا كائن » . لا يجوز ان نزيد كلمة على

١) راجع سفر التكوين ١٢ : ٢-٣ و١٨ : ١٨ و٢٢ : ١٦-١٨

هذه العبارة . فهي واضحة بذاتها وكل زيادة تضعف قوتها . ان يسوع كان قبل ان يكون ابرهيم لانه **مع الله . وابن الله** .

. . .

١٤

هدف ضوء الايمان

وفي غضون هذا العيد عمل يسوع اعجوبة هاج منها الفريسيون لان يسوع عملها يوم سبت . واما الذي مُنح نعمة هذه الاعجوبة فتلطف يسوع وكشف له لاهوته وقد روى الخبر بتفصيله يوحنا في انجيله (٩)

« فيما يسوع مجتاز رأى أعمى منذ مولده . فسأله تلاميذه قائلين : يا ربّ من أخطأ أهذا ام أبواه حتى وُلد أعمى ؟ أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ولا أبواه . لكن لتظهر اعمال الله فيه . ينبغي ان **أعمل اعمال من ارسلني** ما دام النهار . فسيأتي الليلُ الذي لا يستطيع أحد فيه عملًا . ما دمتُ في العالم فانا **نور العالم** . قال هذا وتفل على التراب وصنع من تفلته طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى وقال له : إذهب واغتسلْ في بركة « سلوام » . . . فمضى واغتسل وعاد بصيرًا . . . وكان حين عمل يسوع الطين وفتح عينيه يوم سبت . »

فهاج الشعب من هذه المعجزة الباهرة وجاؤوا بالرجل الى الفريسيين (١–١٤) فاعترف امامهم بما صنع يسوع وانه من الله وحاجَ الفريسيين بكل جرأة — وكانوا يحاولون ان يبخسوا الاعجوبة حقها وقيمتها — فطردوه و« حرموه من المجمع[1] » .

---

١) الطرد من جماعة اليهود كان عقاباً صارماً جدًا يحرم اليهودي حتى من لوازم المعيشة فكان اليهود يخافون منه كثيرًا .

« وسمع يسوع انهم طردوه خارجاً فلقيه وقال له : **أتؤمن انت بابن الله** ؟ فأجاب وقال : ومن هو يا سيّد لأؤمنَ به. فقال له يسوع: قد رأيته وهو الذي يكلمك . فقال له : قد آمنتُ يا ربّ وسجد له » (٣٥ . ٣٨)

فما ألطف صنيع يسوع ! انه يظهر ذاته لأعمى مسكين بعد ان فتح عينيه وأعلمه انه **ابن الله** . فيعترف به المسكين ويسجد له . فيمدحه يسوع ويقول : » أتيتُ الى هذا العالم للدينونة . لكي يُبصر الذين لا يُبصرون ويعمى الذين يُبصرون » . وفي هذا تلميح الى الكتبة والفريسيين الذين لم يخضعوا للحق .

ومن جملة خطب السيد المسيح في هذا العيد الكلام الذي قاله عن الراعي الصالح (يوحنا ١٠ : ١-٢٢) الذي يبذل نفسه عن خرفانه .

« انا الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني كما **ان الآب يعرفني وانا اعرف الآب** وابذل نفسي عن الخرفان » (١٤-١٥) وسنرجع الى هذه الآيات في الكلام على الفداء. يكفينا الآن ان نذكّر القارئ ما جاء في انجيل متى ولوقا عن المساواة بين الآب والابن في المعرفة وبالتالي في الطبيعة[1] فانه يماثل ما يرويه هنا يوحنا .

. . .

١٥

بعد ذلك بشهرين — اعني في الشتاء — رجع يسوع الى اورشليم

١) راجع ما ورد في العدد ٩

وكان قد تركها بعد « عيد المظالّ » . وكان اليهود يحتفلون بعيد آخر « عيد التجديد[1] » فجاء يسوع الى الهيكل وكان يعلّم في « رواق سليمان » (يوحنا ١٠ : ٢٢ الخ)

« فأحاط به اليهود وقالوا : حتى متى تريب انفسنا ؛ ان كنت انت المسيح فقُلْ لنا علانية . أجابهم يسوع : قد قلتُ لكم ولم تؤمنوا **والاعمال التي اعملها باسم ابي هي تشهد لي** . لكنكم لستم تؤمنون لانكم لستم من خرفاني . ان خرفاني تسمع صوتي وأنا أعرفها وهي تتبعني . وانا أعطيتها الحياة الأبدية . فلا تهلك الى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي . ان الآب الذي أعطاني هو أعظم من الكل فلا يقدر أحد ان يخطف من يد الآب **انا والاب واحد[2]** » (٢٥—٣٠)

ان المعنى رغم بعض قراءات مختلفة واضح . يقول يسوع : ما من أحد يقدر ان يخطف خرفاني من يدي لانه ما من أحد يقدر ان يخطفها من يد أبي **واني والاب واحد** . فمقدرته مقدرتي . وقد فهم اليهود جيّداً معنى كلامه فصاحوا : « يا للتجديف » :

« فتناول اليهود حجارة ليرجموه . فأجابهم يسوع : اني أريتكم أعمالًا كثيرة حسنة من **عند ابي** . فلأيّ عمل ترجموني فأجابه اليهود :

---

١) هذا العيد رسمه يوذا المكابي سنة ١٦٤ قبل المسيح تذكاراً لتجديد مذبح الربّ وقد كان انطيوخس ايفانس الطاغي نقضه

٢) وبالضبط بحسب الأصل اليوناني والترجمة اللاتينية يجب ان نقول : « انا والآب (شيء او كائن) واحد » . وهذا التعبير ينفي كل وحدة ليست وحدة جوهرية . ἕν ἐσμεν = unum sumus

انا لسنا لعمل حسن نرجمك لكن للتجديف لانك تجعل نفسك الهاً »
(٣١–٣٣)

فهل أنكر يسوع قوله ؟ لا لعمري بل زاده اثباتاً ولكن بحكمة متحاشياً كل ما من شأنه ان يهيّج الشعب :

« إن لم اعمل اعمال ابي فلا تؤمنوا بي . وإن عملتُ فان لم تريدوا ان تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لتعلموا وتؤمنوا انه الاب فيّ وانا في الاب . فطلبوا ان يمسكوه فخرج من بين ايديهم وذهب الى عبر الاردن . . » (٣٧–٤٠)

« انا والآب (شيء) واحد »

« ان الآب فيَّ وانا في الآب »[١]

ما أوضح هذا الاعلان الثاني ومعناه ان الآب والابن جوهر واحد فهذا القول مرادف للقول الاول : « انا والآب (شيء) واحد » ولم يشأ السيد المسيح ان يقول : « انا اله » لأن هذا القول قلّما يفيد إذ الكتاب يسمّي آلهة (٣٤ - ٤٤) القضاة « الذين صارت اليهم كلمة الله[٢] » ومن جهة أخرى لم يُرد يسوع ان يعطي اليهود سبيلاً للظن بانه يحاول ان ينزع من قلوبهم العبادة لإله اسرائيل . فجاوبهم بكلام يثبت وحدة الآب والابن الجوهرية ولا يترك للمعاندين مجالاً للمغالطة . وقد أحسن اليهود فهم مراده فأرادوا ان يرجموه . ولكنه خرج من بين أيديهم ومضى .

---

١) وسيكرّر يسوع هذه الاقوال غير مرّة في خطابه الاخير للرسل .
٢) المزمور ٨١ (٨٢) :٦

١٦

ولك في اقامة يسوع لعازر من الموت شاهد على انه حقيقة ابن الله الحيّ ومساوٍ لأبيه (يوحنا ١١) وليس مرادنا الآن ذكر تفاصيل هذه المعجزة الباهرة وانما نكتفي ان نورد بعض أقوال له في هذا الحادث تنطق بحقيقة لاهوته .

كان السيّد المسيح في عبر الاردن لمّا ارسلت اليه اختا لعازر تعلمانه ان اخاهما مريض فما لبّى طلبهما الّا بعد ان مات اخوهما فصعد الى بيت عنيا بالقرب من اورشليم حيث كان بيت لعازر . فاستقبلته مرتا وقالت له (١١ : ٢٠—٢٧) :

« يا ربّ لو كنت ههنا لم يمُتْ أخي . ولكنني الآن ايضاً أعلم انك مهما تسأل الله فانه يعطيك . »

لم يكتف يسوع بهذا الاعتراف ولكنه طلب منها الايمان **بلاهوته** قبل ان يحيي لعازر . فأجابها :

« سيقوم اخوك . فقالت مرتا : انا أعلم انه سيقوم في اليوم الأخير .

فقال لها يسوع : **انا القيامة والحياة** . من آمن بي وإن مات فسيحيا وكل من كان حيّاً وآمن بي لن يموت الى الأبد . أتؤمنين بهذا ؟ »

« انا القيامة والحياة » من يستطيع ان يقول هذا سوى الله وحده ؟ فيسوع يؤكد انه يقيم الموتى ويحيي كل من آمن به . ويطلب من مرتا ان تؤمن بانه كذلك . فأجابته مرتا الى طلبه قائلة :

« نعم يا ربّ انا مؤمنة **انك انت المسيح ابن الله الآتي الى**

هذا العالم » . هذا تكرار اعتراف مار بطرس بان يسوع ابن الله حقاً .

ولما جاء الى القبر أمر بان يُرفَع الحجر عنه ورفع عينيه الى السماء وقال (٤١–٤٤) :

« يا **ابتِ** اشكرك لانك سمعتَ لي . وقد علمتُ انك تسمع لي في كل حين لكن قلتُ هذا لأجل هذا الجمع الواقف حولي ليؤمنوا **انك انت ارسلتني** . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : يا لعازر هلمَّ خارجاً . فخرج الميت . . . »

ربما خالج فكر القارئ ان يسوع في اقامته لعازر من الموت تصرَّف كباقي الانبياء الذين يتشفعون فينالون من الله عزَّ وجلَّ مطلوبهم ولكن هذا الشعور لا يعتم ان يضمحلَّ اذا تروَّينا الحادث دقيقة :

لا **يطلب** يسوع من أبيه نعمة رجوع لعازر الى الحياة بل **يشكره** — كما نراه يشكر في جملة من معجزاته المشهورة — لانه « يسمع له في كل حين » . وما ذلك الّا دليل على ان له ملء السلطان على كل شيء غير انه **يأخذه من ابيه** كما يأخذ منه طبيعته الالهية .

ولم يذكر يسوع هنا هذه العلاقة بأبيه — وقد كان بوسعه ان يسكت عنها — الّا ليؤمن الحاضرون ان « الآب أرسله » وهذه هي الحقيقة الجوهرية التي يريد يسوع قبل حلول الروح القدس ان يزرعها في قلوب سامعيه .

وأخيرًا بأمر يسوع الميت بان يقوم كمن له سلطان في ذاته على الموت والحياة مثبتاً ما قاله لمرتا انه « القيامة والحياة » وهذا السلطان الهي .

بعد هذه الاعجوبة تآمر اليهود على يسوع حتى يمسكوه ويقتلوه (يوحنا ١١ : ٤٧-٥٤) « فانطلق يسوع الى بقعة من البرّية الى مدينة تُسمّى أفرام ومكث هناك مع تلاميذه » الّا ان تأثير قيامة لعازر في الشعب كان عظيماً جدًا وهو الذي حرّك فيهم الحماسة التي أظهروها حين استقبلوا يسوع يوم الشعانين .

. . .

١٧

روى الانجيليّون الاربعة[1] خبر دخول السيّد المسيح المهيب في اورشليم يوم الشعانين « ستة ايام قبل الفصح » الأخير الذي احتفل به يسوع على الارض . وبعد الاستقبال الملوكي الذي جرى له كان يسوع يعلّم في الهيكل نهارًا وفي الليل ينزل ضيفاً على لعازر الذي اقامه من الأموات . وفي هذه الايام جاهر بلاهوته اكثر من ذي قبل لانه علم ان ساعته قد أتت ولم يبقَ هناك داعٍ للتحفظ . ذكرنا مسبقين وصفه للدينونة الأخيرة (راجع البرهان ٥) وأشرنا الى الأمثال التي تؤيّد هذا الوصف وها انا نورد مثل « صاحب الكرم »[2] وفيه يثبت يسوع انه « ابن الله الوحيد المحبوب »

---

١) متى ٢١ ومرقس ١١ ولوقا ١٩ ويوحنا ١٢

٢) متى ٢١ : ٣٣ – لوقا ٢٠ – مرقس ١٢

وجعل يكلمهم بأمثال ــ وكان ذلك يوم الثلثاء بعد أحد الشعانين ــ وقال :

« رجل غرس كرماً وحوّطه بسياج وحفر معصرة وبنى برجاً وسلمه الى عملة وسافر . وعند أوان الثمر أرسل الى العملة عبدًا ليأخذ من العملة من ثمار الكرم. فأخذوه وجلدوه وأرسلوه فارغاً . فعاد فأرسل اليهم عبدًا آخر . فشجّوا رأسه وأهانوه . وأرسل أيضاً آخر فقتلوه ثم كثيرين آخرين فجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً. وبقي له ابن وحيد محبوب فأرسله اليهم قائلاً : لعلهم يهابون ابني . اما العملة فقالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث . تعالوا نقتله فيصير الميراث لنا . فأخذوه وقتلوه وطرحوه خارج الكرم فماذا يفعل رب الكرم؟ انه يأتي فيميت العملة ويدفع الكرم الى آخرين. أما قرأتم هذه الكتابة[1] : ان الحجر الذي رذله البنّاؤون هو صار رأساً للزاوية . من عند الربّ كان ذلك وهو عجيب في أعيننا ؟ فهمّوا ان يمسكوه ولكنهم خافوا من الجمع لانه كان يُعَدّ عندهم نبياً (متى ٢١:٤٦) . فتركوه ومضوا (مرقس ١٢:١-١٢)

مغزى المثل ظاهر . « فالكرم » في اصطلاح الأنبياء هو اسرائيل . وصاحبه هو الله . والعملة رؤساء الكهنة والعبيد المرسلون هم الأنبياء الذين كان يرسلهم الله حيناً بعد حين . وكم منهم ذهبوا ضحية آثام الرؤساء ! وبقي ابنه « الابن الوحيد المحبوب » فأرسله الله أبوه أخيرًا فقتلوه . وطرحوه خارج الكرم فانتقم له ابوه ونزع رعاية شعبه من ايدي هؤلاء الأئمة وسلم رعاية شعبه الى آخرين . وقد فهم الكهنة

١) المزمور ١١٨ (عبر) ٢٢

جيداً مغزى هذا المثل وان « الابن الوحيد المحبوب » هو المسيح الذي يخاطبهم فهمّوا ان يمسكوه ليقتلوه . فترى الفرق العظيم الغير المتناهي بين الانبياء وهم « عبيد الله » ويسوع المسيح وهو » ابنه الوحيد المحبوب » الذي له طبيعة أبيه .

. . .

١٨

لمّا دخل يسوع اورشليم يوم الشعانين جاء الى الهيكل « واخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم : بيتي بيت صلاة يُدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص » (متى ٢١ : ١٢—١٣) . فلم يجسر الكهنة وقتئذٍ ان يقولوا له كلمة ولكنهم تجمعوا في اليوم التالي وحاولوا ان يجرّبوه بكثرة سؤالاتهم . فأفحمهم ثم حمل عليهم بدوره .

« وفيما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون في المسيح ؟ ابن مَنْ هو ؟ قالوا له : ابن داود . فقال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح حيث يقول : « قال الربّ لربي اجلس عن يميني حتى أجعل اعداءك موطئاً لقدميك » ؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون هو ابنه ؟ فلم يستطع أحد ان يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد ان يسأله البتة[1] »

ان هذا المزمور الذي استشهد به السيّد المسيح — وهو المز ١١٠ من النص العبراني أو ١٠٩ من الترجمة اللاتينية — كان يُعتبَر متضمناً

١) متى ٢٢ : ٤١—٤٦ مرقس ١٢ : ٣٥—٣٧ لوقا ٢٠ : ٤١—٤٤

نبوءة مختصّة بالمسيح[١]. فبموجب هذه النبوءة يكون المسيح « ابن داود » وهو في الوقت ذاتـه **رب داود ومساوٍ للرب** الاله اذ هو كالرب وجالس عن يمينه. ولا يمكن ذلك الا اذا كان المسيح الهاً وانساناً معاً. ولا عجب اذا كان علماء اليهود لم يقدروا على حلّ المشكل الذي طرحه عليهم يسوع لأنهم أهملوا تماماً النبوءات التي تشير الى الوهية المسيح ولم يعودوا ينظرون اليه الّا من الجهة العالمية ولا يتوقعون من مجيئه سوى الخلاص من اعدائهم الزمنيين والسعادة الأرضية.

. . .

١٩

حان وقت خروج السيّد المسيح من هذا العالم وكلما اقتربت الساعة ازداد كلامه وضوحاً امام الشعب وبأولى حجة أمام تلاميذه الأحباء في العشاء السرّي. راجع انجيل يوحنا من الفصل ١٣ الى ١٧ تجد في هذه الفصول وداعه لتلاميذه ووصيته الأخيرة وفي كل ذلك كشف النقاب عن وجه الالهي. وليس بوسعنا ان نذكر كل الآيات الانجيلية الشاهدة بالوهية المسيح. نكتفي باقتطاف بعض أقواله الساحرة.

بعد ان أكل « الفصح » مع تلاميذه لآخر مرّة وغسل أرجلهم بتواضع لا مثيل له ورسم سرّ القربان وكان يهوذا الاسخريوطي قد خرج ليسلمه تحدّث يسوع بلهجة حبّ لا يوصف وأودعهم أسراره

---

١) لذلك كان الرسل يستشهدون به لمّا كانوا يحاجون اليهود مثلًا مار بطرس يوم العنصرة (أعمال الرسل ٢ : ٣٢ ألخ) ومار بولس في رسالته الى العبرانيين وقد وردت هذه الآية ١٥ مرّة في العهد الجديد.

بصراحة لا مزيد عليها .

« لا تضطرب قلوبكم . **انتم تؤمنون بالله فآمنوا بي** . ان في بيت أبي منازل كثيرة — والّا لقلتُ لكم — فاني منطلق لأعدّ لكم مكاناً . . . انتم عارفون الى اين اذهب وتعرفون الطريق . فقال له توما : يا ربّ لسنا نعرف اين تذهب وكيف نعرف الطريق ؟

قال له يسوع : **انا الطريق والحق والحياة** . لا يأتي أحد الى الاب الا بي . **لو كنتم تعرفوني لعرفتم ابي ايضاً** . ومن الآن تعرفونه **وقد رأيتموه** .

« فقال له فيلبّس : يا ربّ **أرنا الاب** وحسبنا . فقال له يسوع : انا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفوني . يا فيلبّس **من رآني فقد رأى الاب** فكيف تقول انتَ : أرنا الآب . أما **تؤمن اني انا في الاب وان الاب فيّ** » (١٤ : ١—١٠)

ما أوضح وأجلى هذا التعليم ! يساوي يسوع نفسه بالله الآب وهو ابنه من جوهره وبجوهره الالهي « فمَن رآه فقد رأى الآب » « لانه في الآب والآب فيه »[١] . ويزيد على هذا الكلام بقوله في الفصل ١٦ : **جميع ما للاب هو لي** . . . قد **خرجت من الاب** وأتيت الى العالم وايضاً اترك العالم **وامضي الى الاب** » (١٦ : ١٥ و٢٨)

---

١) هذا ينفي كل معنى مجازي

وهل من حاجة الى الزيادة ؟ « خرج يسوع من الآب » و« جميع ما للآب هو له » « وهو في الآب والآب فيه » فلا عجب ان « مَن رآه فقد رأى الآب » . أيمكن ان يصف بنوّته بكلام أوضح من هذا ؟ والآن نفهم صلاته الأخيرة قبل ان يذهب الى جبل الزيتون (١٧)

« تكلّم يسوع بهذا) ورفع عينيه الى السماء وقال : **يا ابتِ** قد أتت الساعة **مجد ابنك ليمجدك ابنك** كما أعطيته السلطان على كلّ بشر ليعطي الحياة الأبديّة لكل مَن اعطيته لهُ ... انا قد مجدتك على الأرض . والآن **مجدني انت يا أبتِ عندك بالمجد الذي كان لي من قبل ان يكون العالم** (١-٥)

يطلب يسوع لناسوته المجد الذي للاهوته منذ الأزل ويذكر انه اعلن اسم ابيه للذين أعطاهم له ابوه فآمنوا وعرفوا حقاً انه من الله خرج (٦-٩) . ويكرّر قائلاً :

« انا أسأل من أجلهم لا أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتهم لي لأنهم لك . **كلّ شيء لي هو لك وكل شيء لك هو لي** وانا مُجدتُ فيهم ... ايها الآب القدّوس احفظْ باسمك الذين أعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما **نحن واحد** » (٩-١١) .

يطلب لتلاميذه وحدة **على مثال** وحدته مع الآب كما طلب (متى ٥:٤٨) منهم ان يكونوا كاملين **كما ان اباهم السماوي كامل** » .

اي على مثال الكمال الالهي[1] .

وما أحلى ما يقوله في الختام :

« يا أبتِ ان الذين أعطيتني أُريد ان يكونوا معي حيث انا ليروا مجدي الذي أعطيتني لانك قد **احببتني قبل انشاء العالم** »

كل تعليق على هذه الأقوال فضول . . وبعد هذا ذهب الى بستان الزيتون حيث أزمع التلميذ الخائن ان يسلمه الى اليهود . وهناك في آلامه الشهادة الكبرى التي لا تحتاج الى تفسيرٍ بانه ابن الله حقاً

. . .

٢٠

بعد نزاعه في بستان الزيتون[2] جاء الذين كانوا يطلبونه بقيادة الخائن فأسلم يسوع نفسه بعد ان أظهر لهم باعجوبة انه بملء اختياره يذهب الى الموت . فقادوه اولاً الى رئيس الكهنة حيث كان « المجمع » ملتئماً . فمثل يسوع أمامهم وشرع شهود الزور يشكونه ولكن شكاويهم لم تكن متفقة فسقطت من تلقائها ويسوع صامت لا يتفوه بكلمة[3] فتحيّر رئيس الكهنة لانه لم يجد علة تسمح لهم ان يطلبوا

١) وهذا معنى الآيات التي تشبهها مثل ٢١ و٢٢ و٢٣ حيث يطلب يسوع ان يكون تلاميذه بأجمعهم « واحداً » على « مثال » وحدته مع الآب – فما أوهن اعتراض من يدّعي ان هذه الآيات تثبت وحدة « مجازية » كوحدة التلاميذ المذكورة ! كأن الذي يقول مثلاً « هذا المصباح يضيء كالشمس » مراده ان يقول ان ضياء الشمس هو كضياء المصباح ليس الاّ ! ! !

٢) متى ٢٦ : ٣٦ الخ – مرقس ١٤ : ٣٢ الخ – لوقا ٢٢ : ٣٩ الخ – يوحنا ١٨

٣) متى ٢٦ : ٦٢–٦٦ . مرقس ١٤ : ٥٥–٥٦ . لوقا ٢٢ : ٦٣–٦٥ . يوحنا ١٩ : ٦–١٢

من الوالي الروماني قتله وقد كان الرومان أسيادهم نزعوا منهم السلطة فلم يعودوا يستطيعون الحكم على أحد من رعاياهم بالموت. فما العمل؟ حينئذ فكّر الكاهن الأعظم في ان يطلب من يسوع نفسه الشهادة[١] التي يأذن له بان يحكم عليه بالموت لعلمه ان يسوع مشهور بصدقه.

« وقال له : أقسم عليك بالله الحيّ ان تقول لنا هل **انت المسيح ابن الله**[٢] »

سؤال داهية لان يسوع لم يبقَ في وسعه — ولله الحمد — السكوت والشهادة التي أدّاها حينئذٍ شهادة لا تُثمّن :

« فقال له يسوع : **انت قلت . انا هو** . وايضاً اقول لكم انكم من الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحاب السماء » .

ما أوضح هذا الجواب وما أقواه في مثل هذا الموقف. وزاد يسوع على ما طلب رئيس الكهنة واعلنه بانه مساوٍ للآب وآتٍ ليدين العالم.

« حينئذٍ شقّ رئيس الكهنة ثيابه وقال: لقد **جدّف** فما حاجتنا الى شهود. ها انتم سمعتم **تجديفه** . فماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا : انه يستوجب الموت. . . » (متى ٢٦ : ٦٥–٦٦)

لقد أحسن « المحفل » فهم كلام يسوع وانه يعترف امامهم بانه

١) ولا هذه الشهادة كانت كافية شرعياً لتسمح للكاهن الأعظم ان يحكم على يسوع بالموت لانه جدّف اذ الشهادة المطلوبة هي غير شهادة يسوع

٢) متى ٢٦ : ٦٣ – مرقس ١٤ : ٦٢ – لوقا ٢٢ : ٧٠–٧١

ابن الله مساوٍ لأبيه.. فصاحوا انه يجدّف وانه يستحق الموت . ثم لما كان الغد أوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطي الوالي (متى ٢٧ : ١—٢). وليس التجديف في عرفهم لان يسوع قال انه « المسيح » لان المسيح لم يكن عندهم الّا ملكاً عظيماً وقد قام مسحاء كذبة عديدون في ذاك العصر فأوقع بهم القضاة الرومانيون . وانما التجديف الذي نسبوه الى يسوع هو انه سوّى نفسه بالله وقال انه ابنه بكل معنى الكلمة . وقد أظهروا امام الوالي فكرتهم هذه .

اوّل ما شكوه به هو انه يهيّج الشعب ويدّعي انه المسيح الملك . هذا هو الأمر الوحيد الذي كان يهمّ الوالي غير ان بطلانه اتضح له حالًا فأراد ان يطلقه . حينئذٍ

« أجابه اليهود . ان لنا ناموساً وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت **لانه جعل نفسه ابن الله** » . (يوحنا ١٩ : ٧ الخ)

هذا هو **التجديف** الذي تذرّعوا به ليطلبوا موته فكان حقيقةً علّة صلبه بسبب ضعف الوالي . وقد أدركها الجميع . فلمّا صُلب

« كان المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم ويقولون. . . **ان كنت ابن الله** فانزلْ عن الصليب . وهكذا رؤساء الكهنة مع الكتبة والشيوخ كانوا يهزأون به قائلين: خلّص آخرين ونفسه لم يقدر ان يخلصها . . . انه متكل على الله . فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه **لانه قال : انا ابن الله** . . . » (متى ٢٧ : ٣٩—٤٣) وكذلك كان احد المجرمين « يُجدّف عليه قائلًا : ان كنت انت المسيح فخلّص نفسك

وإياناً فأجاب الآخر وانتهره . . . ثم قال ليسوع : يا ربّ اذكرني متى جئت في ملكوتك . فقال له يسوع : الحق اقول لك . اليومَ تكون معي في الفردوس .

يعترف اللص التائب ان يسوع ربّ السماء والمخلّص فيجازيه يسوع حالاً ويعده بالملكوت : أفليس هذا الصنيع تثبيتاً لايمان اللص التائب بلاهوت المسيح .

ولمّا أسلم يسوع الروح حصلت زلزلة هائلة وانشقّ حجاب الهيكل وتفتحت القبور وقام كثيرون من الأبرار بعد قيامة يسوع . . .

« وان قائد المئة والذين يحرسون يسوع لمّا رأوا الزلزلة وما حدث خافوا جداً وقالوا : في الحقيقة كان هذا ابن الله » (متى ٢٧ : ٥١—٥٤)

فترى ان سيدنا يسوع المسيح جاهر أمام القضاة انه ابن الله حقاً وان اليهود أدركوا معنى هذا القول واعتبروه تجديفاً فحكموا على يسوع بالموت وأخضعوا الحاكم لمرادهم فأسلمه ليصلب . وفهم الشعب انه صُلب لانه قال : « انا ابن الله » لعمري ان ما حدث في موت يسوع شهادة باهرة تكفي وحدها لتثبت ان يسوع هو ابن الله » بحصر المعنى .

هذه — علاوة على شهادة الروح القدس المذكورة في الفصل ١ — عشرون شهادة للسيد المسيح من الانجيل فيها مئات من الآيات وكل شهادة منها تثبت بلا ريب ان الله آب وابن فكيف بجموعها ؟ لعمر الحق لا يبقى سبيل الى الشك بحقيقة هذا الوحي .

وما يتضح ايضاً من هذه الشواهد ان « الابن » الذي ظهرت حقيقته هو بعينه سيدنا يسوع المسيح فيستنتج منها للحال انه « ابن الله المتجسد » . غير اننا نرجئ الكلام في هذا السرّ الى البحث في التجسد . ونكمل الموضوع الذي باشرنا بشرحه . مبيّنين ان هناك اقنوماً ثالثاً وهو الروح القدس مساوياً للآب والابن في وحدة الجوهر .

الفصل الثاني

الروح القدس

لم يكثر السيّد المسيح الكلام على « الروح القدس » في كرازته والسبب ظاهر . كان اليهود يؤمنون بالروح القدس روح الله الوارد ذكره في كل كتب العهد القديم غير انهم كانوا يعتبرونه كقوّة الهية منبع النعم والمواهب لا كشخص متميّز عن الله الآب . ومن جهة اخرى لم يكونوا بعد قادرين على اقتبال سرّ اقنوميّته قبل ان يتمّ عمل المسيح الخلاصي ليحلّ الروح القدس على الذين آمنوا وينوّر عقولهم . لذلك قال يسوع لليهود في عيد « نصب المظالّ » (يوحنا ٧ : ٣٨) الكلام الذي رويناه في (ص ٧٠) (يوحنا ٧ : ٣٧ — ٣٩) « مَنْ آمن بي فكما قال الكتاب : « ستجري من جوفه أنهار ماء حيّ » . وانما قال هذا عن **الروح القدس** الذي كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه اذ **لم يكن الروح قد اعطي بعد** لأنّ يسوع لم يكن قد مُجّد بعد » .

فترى حكمة الله في كشفه لنا أسراره بالتدريج . ومع ان يسوع

لم يلقِ على الشعب كلاماً كثيرًا عن الروح القدس بل ترك ذلك لرسله وتلاميذه كما يتضح لك الأمر من مراجعة « أعمال الرسل[1] » و« رسائل » الرسل فانه كشف لنا شيئاً كافياً من صفاته الالهية ليعلم الجميع انه **شخص الهي** مساوٍ للآب والابن لانه ينبثق من الآب والابن . واليك بعض الشواهد .

. . .

ذكرنا ما رواه الانجيليون عن عمل الروح القدس وظهوراته لا سيّما يوم عماد يسوع (وجه ٣٨ وما يليه) اذ حلّ على يسوع بصورة حمامة وهذه الآن بعض اقوال السيّد المسيح نفسه :

١ً روى متى (١٢ : ٢٢ - ٣٢) ما ملخصه :

أخرج يسوع الشيطان يوماً من « مسكون » أعمى أخرس فأبرأه فقال الناس متعجّبين : « لعلّ هذا هو المسيح ابن داود » فسمع الفريسيّون فقالوا انما هذا يخرج الشياطين ببعل زبوب رئيس الشياطين فعلم يسوع أفكارهم وتنازل وردّ على اعتراضهم الأحمق : « إن كان الشيطان يخرج الشيطان . . . فكيف تثبت مملكته . . . »

« من اجل هذا اقول لكم : ان كل خطيئة **تجديف** يغفر للناس واماّ **التجديف على الروح القدس** فلا يغفر . ومن قال كلمة على ابن

---

١) لقد سمّوا سفر « أعمال الرسل » « انجيل الروح القدس » لكثرة مظاهر هذا الاقنوم الالهي وتدخله في الحياة المسيحية التي يصفها « هذا السفر » – وقد وردت لفظة « الروح » πνεῦμα ٣٧٩ مرّة في اسفار العهد الجديد ومنها ١٤٦ في كتابات بولس الرسول .

البشر يُغفر له واما من **قال على الروح القدس** فلا يُغفر له في هذا الدهر ولا في الآتي[١] » .

ما « هو التجديف على الروح القدس » ؟ تلك مسألة دقيقة لا حاجة الى بحثها هنا . واما ما هو واضح فهو ان **الروح القدس اله** لأن « التجديف » لا يكون الّا على الله . وانه **شخص** الهي لان التجديف لا يكون الّا على شخص الهي . وانه شخص غير الابن — ابن البشر — اذ ان التجديف على الروح القدس غير التجديف على ابن البشر الذي ذكره المسيح .

٢ً وبعد الكلام الذي رويناه قال ايضاً يسوع لتلاميذه :

« اذا ساقوكم وأسلموكم فلا تهتموا من قبل بماذا تتكلمون بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا لأنكم لستم انتم المتكلمين لكن **الروح القدس** » (مرقس ١٣ : ١١) . لأن **الروح القدس يعلمكم** في تلك الساعة ما ينبغي ان تقولوه (لوقا ١٢ : ١٢)

فترى ان المسيح ينسب الى الروح القدس ما ينسب الى شخص او اقنوم الهي .

٣ً غير ان يسوع لم يوضح تعليمه بما يختص بالروح القدس الّا امام رسله لأنهم هم « أعطوا معرفة اسرار ملكوت السماوات » (متى ١٣ : ١١) وذلك في خطابه الأخير بعد العشاء السري (يوحنا ١٤ : ٧) نقتطف منه الآيات الآتية .

---

١) متى ١٢ : ٣١-٣٢ . مرقس ٣ : ٢٨-٣٠ . لوقا ١٢ : ١٠

ا « ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي. **وانا أسألُ الاب فيعطيكم معزّياً آخر** (بارقليطاً آخر) ليقيم معكم الى الأبد **روح الحق** الذي العالم لا يستطيع ان يقبله لأنه لم يرَهُ ولم يعرفه. اماّ انتم فتعرفونه لأنه يقيم عندكم ويكون فيكم » (١٤ : ١٥—٢٠)

ب « كلمتكم بهذا وانا عندكم وأمّا **المعزّي الروح القدس** الذي **سيرسله الاب باسمي فهو يعلّمكم** كل شيء. ويذكّركم كل ما قلته لكم » (١٤ : ٢٦)

ج ومتى جاء **المعزّي** الذي **ارسله** من عند **الاب روح** الحقّ الذي **من الاب ينبثق** فهو يشهد لي » (١٥ : ٢٦)

د « ان في انطلاقي خيرًا لكم لاني ان لم انطلق لم **يأتكم المعزّي** ولكن اذا مضيت **ارسلته** لكم . ومتى جاء **يبكّت** العالم على الخطيئة وعلى البرّ وعلى الدينونة . . . » (١٦ : ٧-١١)

ه « وان عندي كثيرًا أقوله لكم ولكنكم لا تطيقون حمله الآن ولكن متى جاء ذاك **روح الحق فهو يرشدكم** الى جميع الحقّ لانه **لا يتكلم** من عنده بل **يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم** بما يأتي. هو **يمجدني** لانه **يأخذ مما** لي ويخبركم . **جميع ما للاب هو لي** . من أجل هذا قلت لكم انه يأخذ ممّا لي ويخبركم » (١٦ : ١٣—١٥) .

من هذه الآيات يتبيّن لنا جلياً مَن هو الروح القدس .

هو اولًا **شخص** أو اقنوم لا قوّة الهية او عطيّة فقط . لأنه **معزٍ آخر** ـــ او شفيع آخر لان هذا معنى ثانٍ للفظة بارقليط ـــ غير المسيح فهو اذًا شخص كالمسيح .

هو **شخص** لانه مرسل من الآب والابن « ليعلّم » و« يشهد » و« يُخبر بما يسمع » و« يرشد » و« يمجد الابن » و« يبكّت العالم ». فلا مراء ان جميع هذه الصفات لا تُنسب الّا لشخص حي[1]

ثانياً هو **شخص الهي** . هذا لا يكاد يحتاج الى برهان بعد كل الذي قدّمناه : لأن « الروح القدس » من الأسماء التي لا تُطلَق في الكتاب الّا على الله . وكذلك صفاته هي صفات الهية . هو « معزّ آخر » غير الابن اذًا بمنزلة الابن . هو « روح الحقّ » الخ . كان قبل ان يأتي الى العالم وسيبقى مع المؤمنين الى الأبد . ومن هذه صفاته لا يكون مخلوقاً .

ثالثاً هذا الشخص الالهي **ينبثق من الاب والابن**

من الاب . كما ورد صريحاً (١٤ : ٢٦) اي يأخذ جوهره من الآب **ومن الابن ايضاً** . لان الابن **يرسله** كالآب ولا معنى « للارسال » في الالهيات سوى الصدور والانبثاق . ولان الروح القدس « يأخذ مما

١) شخصية الروح القدس تتضح ايضاً من مقارنتها بشخصيّة يسوع فلا يمكن ان تكون هذه المساواة عبارة عن قوّة الهية فقط .

للابن » اي من جوهر الابن فهو اذاً ينبثق منه كما تنبثق المحبة من الارادة والعقل[1] . . .

هذا هو الروح القدس وفي وصفنا له كرّرنا ذكر الثالوث الأقدس .

٤ً وعد يسوع تلاميذه كما مرّ ان يُرسل اليهم الروح القدس وقد جدّد وعده بعد قيامته فأوصاهم ان يمكثوا في اورشليم ليستعدّوا لقبوله .

« انا ارسل اليكم **موعد ابي** فامكثوا انتم في المدينة الى ان تلبسوا قوّة من العلاء . » (لوقا ٢٤ : ٤٩)

« وفيما يسوع يأكل مع تلاميذه (حين ظهر لهم آخر مرّة قبل صعوده الى السماء) أوصاهم أن : لا تبرحوا من اورشليم بل انتظروا **موعد الاب** الذي سمعتموه مني . فانّ يوحنا انّما عمّد بالماء واما انتم فستعمّدون **بالروح القدس بعد ايام غير كثيرة** . . . ستنالون قوّة **الروح القدس** الذي **يحلّ عليكم** فتكونون لي شهوداً في اورشليم وجميع اليهوديّة وفي السامرة والى أقصى الأرض[2] » (أعمال الرسل ١ : ٤-٨)

وسنذكر خبر حلول الروح القدس يوم الخمسين بعد قيامة المسيح[3]

---

١) راجع مقالتنا الاولى « المسيحية والاسلام » ص ٣١ فان نسبة الروح الى الابن كنسبة الابن الى الآب .

٢) يسوع ابن الله حقاً يعمل بقوّة الروح القدس أعمالاً عديدة الهية أفيمكن ان يكون الروح خليقة ؟

٣) وهل من حاجة الى استلفات نظر من له بعض الالمام باللغة اليونانية

في « تتمة الفداء » في بحثنا الثالث مقتصرين هنا على بيان هذه الحقيقة الأساسية التي قصدنا إثباتها وهي ان الروح القدس هو اقنوم ثالث من الثالوث الأقدس كالآب والابن .

الفصل الثالث

الآب والابن والروح القدس

روى متى الانجيلي (٢٨: ١٦-٢٠) وكذلك مرقس (١٦: ١٥-١٦)

« ان التلاميذ الأحد عشر بعد قيامة يسوع ذهبوا الى الجليل حيث أمرهم يسوع . فدنا يسوع منهم وكلمهم قائلاً : اني قد أعطيت كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها انا معكم كلّ الأيّام الى منتهى الدهر »

القديمة لغة الاناجيل الأصلية الى غرابة قول من يدّعي من المسلمين ان الآيات المذكورة في المتن والتي تبشّر بقدوم الروح القدس هي نبوءة بمجيء محمد . واساس هذا الزعم لفظة « بارقليط » التي معناها على قولهم « محمّد » !!! وقد فاتهم ان محمّدًا ليس روحاً كالذي بشّر يسوع بقدومه و٢ً ان الروح القدس حلّ على التلاميذ بعد المسيح بنحو ٥٠ يوماً ومحمّد جاء ٦٠٠ سنة بعده و٣ً ان مستندهم اللغوي مبنيّ على الخلط بين لفظتين يونانيّتين مختلفتي المعنى . فالروح القدس يُدعى παράκλητος اي « المعزّي » او « المحامي » . وامّا اللفظة اليونانية التي أرادوا ان يقرّبوها من اللفظة العربية « محمّد » فهي περίκλειτος ومعناها « عظيم الشهرة » فمثلهم كمثل من يقول : ان قَتَلَ وقُتِلَ معناها واحد لأن أحرفها واحدة !!!

« باسم الآب والابن والروح القدس »[1]

في هذه الآية خلاصة كل ما اوردناه عن الثالوث الاقدس .

يظن من ليس له معرفة بالانجيل ان الآية المذكورة هي القاعدة الوحيدة والاولى التي أثبت فيها السيّد المسيح عقيدتنا بالتثليث مع انها **خاتمة** كل تعاليمه المتعدّدة في هذا الموضوع .

قد بيّنا كيف عرّف يسوع تلاميذه والجموع بكل واحد من هؤلاء الأقانيم الثلاثة « الآب والابن والروح القدس » على حدة حتى لم يبقَ ريب معقول في حقيقة شخصية كل منهم ولاهوته . وقد أوضح في الوقت عينه نسبة كل واحد الى الاثنين الآخرين . ولا شك انه كرّر هذه المعلومات وشفعها باخرى اذ كان يظهر لرسله مدة الاربعين يوماً التي قضاها على الارض بعد قيامته « ويكلمهم بما يختصّ بملكوت الله » (أعمال الرسل ١ : ٣) وها انه يجمع كل هذه الأسرار في صورة العماد التي تركها لنا : « باسم الآب والابن والروح القدس »

فالآب والابن والروح القدس هم **ثلاثة اشخاص او أقانيم الهية** قائم كلٌ واحد بذاته ومتميّز من الآخرين .

لهم **جوهر واحد** يعبّر عنه بلفظة « اسم » بالمفرد لان « الاسم » في استعمال كتب العهد القديم — وكذلك في الاصطلاح الجاري حتى

١) راجع ما ورد في الانجيل من ذكر الثالوث الأقدس يوم عمّد يوحنا سيدنا يسوع المسيح في الاردن وباقي الشواهد التي أتينا بها في الباب الاول فيكون الثالوث الأقدس فاتحة حياة يسوع العلنية وخاتمتها .

في ايامنا — يدلّ على سلطان او كيان المسمّى. ومعلوم ان هذين هما في الله واحد لان سلطانه هو كيانه او جوهره .

فبالسلطان الالهي الواحد الذي للاقانيم الثلاثة يتمّ تقديس المعمّد فينال نعمة التبني وموهبة الروح القدس كما سبق وشرحه يوحنا المعمدان[1] .

ولقد أحسن الرسل والتلاميذ فهم ما قاله لهم السيّد المسيح حين ودّعهم وأخذوا حالًا بعد حلول الروح القدس عليهم يعمّدون « باسم الاب والابن والروح القدس ». تشهد بذلك رسائلهم وتآليف تلاميذهم الأوّلين . هذا مثلًا ما يقوله صاحب الكتاب المعنون La Didaché « الديدكه » اي « تعليم الرسل » وقد ألّفه نحو سنة ٨٠ للمسيح اي بينما كان بعض الرسل لا يزالون في قيد الحياة وهو أقدم أثر مسيحي خارجاً عن الكتب المنزلة . قال (في عدد ٧)

« فيما يختصّ بالعماد عمّدوا كما يلي : بعد ان تكونوا علّمتم كل ما تقدّم[2] **عمّدوا « باسم الاب والابن والروح القدس »** في الماء الحيّ (اي الجاري) فان لم يكن عندك ماء حيّ فعمّده بماء آخر . وان لم يمكنك ان تعمّد بالماء البارد فعمّد بالماء السخن وان لم يكن عندك من الماء لا هذا ولا ذاك فصبّ ماء على رأس المعمّد ثلاث مرّات **باسم الاب والابن والروح القدس »** .

هذه شهادة لا تُثمّن فانها من زمن الرسل وتدلّ على العادة المرعية

١) يوحنا ١ : ٣٣ ومتى ٣ : ١١ ومرقس ١ : ٨ ولوقا ٣ : ١٦

٢) ذكر الايمان بالاقانيم الثلاثة ويسوع المسيح ابن الله المتجسد الخ

في بدء الكنيسة لعماد « الموعوظين » (اي الذين كانوا يُعلَّمون ويستعدّون للعماد) . فانها تبرهن على ان المسيحيين الأوَّلين أحسنوا فهم تعليم السيّد المسيح الذي نقله اليهم الرسل وآمنوا منذ البدء بسرّ الثالوث الأقدس كما عرضناه . ويمكن زيادة شهادات كثيرة بهذا المعنى تركنا التوسع في بسطها الى مقالٍ آخر ان شاء الله .

فبعد كل ما قدّمناه لم يعد يجوز لعاقل سليم النيّة الادّعاء بان عقيدة الثالوث الأقدس مستحدثة ابتكرها المسيحيون لمّا اختلطوا بالوثنيين . هي حقيقة آمنت بها الكنيسة من اول ساعة وجودها وقبل ان تترك بلاد اليهود لتنتشر في العالم الوثني فان نصّ متّى الذي ذكرناه (٢٨ : ١٦–٢٠) هو من عبراني لعبرانيين . وكذلك شهادة « تعليم الرسل » فان صاحبها يهودي الأصل . وناهيك من تلك الآيات التي اعتمدنا عليها وهي تعدّ بالعشرات بل بالمئات وكلها تشهد بان عقيدة الثالوث الأقدس هي من وحي السيّد المسيح وقد آمنت به الكنيسة من اوائلها .

وبعد هذا الوحي الذي لم يستعمل فيه السيّد المسيح الّا الكلام « البسيط » الذي يفهمه كل ذي عقل جاء **فلاسفة** المسيحيين[1] من

---

١) من المستغرب ما نراه جارياً على ألسنة او بالحري على اقلام بعض الكتبة المسلمين مثل المرحوم محمد عبده – وقد ورد ايضاً في كتاب « السواء » (ص ٣٦) – انه لم يوجد علماء عند النصارى الّا بعد دخول المسلمين الى اسبانية بزمان وانتشار العلوم بينهم انتشارًا واسعاً مكّن المسيحيين من الاستقاء من مواردها . ينسى هؤلاء ان اساتذة المسلمين في العلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية الخ كانوا علماء المسيحيين السريان واليونان الموجودين في بلادنا وبلاد الغرب . واذا اراد القارئ ان يطلع على حقيقة الأمر فما له الّا ان يزور مكتبتنا في بيروت ليرى

ابتداء الجيل الثاني وترجموا هذه العقيدة باصطلاحاتهم الفلسفية الجارية اذ ذاك . وبعد أبحاث دقيقة صادقت الكنيسة على ما تحققته منها مطابقاً لمعاني كلام الله وبموجبه نقول :

انّ في الله « طبيعة » واحدة وثلاثة « أقانيم » متميّزين ولكن متساوين : الآب والابن والروح القدس .

هذه حياة الله التي تنازل واوحى الينا بشيء من أسرارها العجيبة فما أسماها ! . . .

« يا لعمق غنى الله وحكمته ! ما أبعد أحكامه عن الادراك وطرقه عن الاستقصاء ! من عرف الربّ ومن كان له مشيرًا ؟ ان كل شيء هو منه وبه واليه فله المجد مدى الدهر آمين »[1] .

فبعد كل ما تقدّم هل يجد المسلم في سرّ التثليث كما شرحناه نقلًا عن الانجيل ما يمنعه دينه عن الايمان بـه وقد جاء في سورة العنكبوت (٤٥) في الكلام على « اهل الكتاب » : « الهنا والهكم واحد » ؟

بنات المجلّدات الضخمة المحتوية على الأبحاث الفلسفية واللاهوتية الجدليّة المؤلفة باليونانية والسريانية واللاتينية منذ الجيل الثاني وقبل الاسلام بأجيال .

١) من رسالة بولس الى اهل رومية ١١ : ٣٣

ملحق

ردّ على العقليّين المدّعين ان الرسل ألهوا معلّمهم

بيّنّا (ص ٢٤ وما يليها) صدق الرسل وصفاء نيّتهم وامانتهم في تسليمنا ما عرفوه حقّ المعرفة عن حياة سيدنا يسوع المسيح واقواله ولا سيّما فيما يتعلّق بمعجزاته وقيامته وشهادته بانه ابن الله حقاً فلم يبقَ للعقليّين الّا ان يدّعوا ان الرسل والتلاميذ الأوّلين من فرط حبّهم لمعلّمهم تهوّسوا حتى نسبوا اليه اقوالًا وأعمالًا لا صحّة لها الّا في مخيّلاتهم .

زعم غريب لعمر الحق . وقد كنّا في غنى عن تفنيده بعد كل ما قدّمناه الّا انا آثرنا دحضه لما في ذلك من البراهين التي تؤيد ما قلناه عن صحّة الانجيل وصدقه قوّة ووضوحاً .

١ً لقد تهوّس الرسل والتلاميذ الأوّلون — وكان قد اجتمع منهم نحو ١٢٠ في العلّيّة الصهيونية لمّا حلّ الروح القدس عليهم وابتدأ بطرس يكرز ويبشر بيسوع ابن الله الذي مات وقام — تهوّس الاثنا عشر رسولًا وكذلك بولس والاثنان والسبعون تلميذًا الذين اشتركوا معهم في رسالاتهم مدة حياة يسوع وشرعوا حالًا يشهدون ان المسيح ابن الله الخ . وذلك في اورشليم واليهوديّة وباقي اصقاع العالم الروماني . لقد اعتراهم الهوس في آنٍ واحد واماكن مختلفة متباعدة وبشّروا بقضية واحدة وكلمة واحدة ولم يوجد فيهم عاقل — ولا بولس ذاك الرجل

العظيم الذي لم يقم مثله كما يشهد العقليون انفسهم — انتبه الى هذا الهوس الغريب وهذا الادعاء الباطل ليمنع رفاقه من زرع الفساد بين الناس ؟ من يمكنه ان يسلم بمثل هذا القول ؟

٢ً وهذا الهوس لم ينشأ عن قلّة صدق الرسل — لان صدقهم لا غبار عليه مطلقاً بل عن شدّة تأثرهم وضعف مخيّلتهم وسرعة هيجانها فتغلّب على ارادتهم وعقلهم كما نرى فيمن يصاب بداء « الهستيرية » فاي رجل مطّلع على تاريخ ذاك العصر بل اي رجل عاقل مفكر يسعه ان يتّهم الرسل بمثل هذا الانفعال انفعال السقم والمرض ؟ كانوا رجالاً اقوياء صيّادي سمك من الجليليّين — والجليليّون كانوا مشهورين بين اليهود بقوّتهم وشدّة اخلاقهم — قضوا عمرهم في مزاولة مهنتهم وتحمل مشاقّ اعمالهم لا همّ لهم سوى نجاحها فاين هؤلاء من الأحلام والاوهام والتخيّلات العصبيّة الآيلة باصحابها الى الهوس المتواصل الذي هو نوع من الجنون ؟

ثم هل يصبر المتهوّس الضعيف العصب على احتمال المشقّات والآلام والموت اثباتاً لمدّعاه ؟ هذا من المحال فالرسل والتلاميذ الاولون اشتهروا بصبرهم وتكبدهم الاتعاب حتى الموت اثباتاً لما كانوا يقولون انهم رأوه وتحققوه. هذا ما كان يجيب به بطرس ويوحنا لمّا اراد رؤساء اليهود ان يسكتوهما متهدّدين :

« احكموا انتم ما العدل امام الله . ان نسمع لكم أم نسمع لله ؟ فانّا لا نقدر ان لا نتكلم بما عاينّا وسمعنا » (الأعمال ٤ : ١٩ — ٢٠)

ولمّا جلدوا الرسل وامروهم ان لا يتكلموا باسم يسوع « خرجوا

من وجه المحفل فرحين بانهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لأجل اسم يسوع » ولم يزالوا يبشرون بيسوع المسيح (الأعمال ٥ : ٤٠-٤٢)

أهذا تصرف من أُصيب بداء الهوس ؟

٣ً ان أخلاق الرسل — كما قلنا — بعيدة عن الانفعالات العصبيّة التي تحمل صاحبها على الاستسلام الى الاوهام واختراعات المخيّلة . وهناك سبب آخر ينفي التهوّس عن الرسل حتى يعظموا إمامهم مخترعين ما لا صحّة له وهو ان مثل هذا الهوس — لو صحّ — لا يقع حالًا بعد الحادث ولكن بعد زمن ليس بقصير . ولا أمام شهود اول ساعة ولكن امام اشخاص غرباء بعيدين عن الواقع لا يستطيعون تحقيقه ولا تكذيبه . والحال ان شهادة الرسل التي دوّنها الانجيليّون هي من اول ساعة . والحالة التي وصفوها هي كما سمّاها هرناك « حالة اوّليّة » لم يستطع افسادها او تغييرها « تهوّس » أتباع المسيح . والبرهان على ذلك واضح :

مشهور ان الكنيسة التي يصفها بولس في رسائله — وقد أخذ يحرّرها نحو ٢٠ سنة بعد المسيح — ويعقوب الخ . ولوقا — صاحب الانجيل الثالث ورفيق بولس في آخر سني حياته الرسولية — في سفر « اعمال الرسل » هي كنيسة منظّمة بأساقفة و كهنة وشمامسة يديرون شؤونها تحت رعاية الرسل . فترى هذه الكنيسة المشار اليها في رسائلهم منتشرة في حياة الرسل بطرس وبولس ويوحنا من الشرق الى أقصى الأصقاع الغربية وهذه الحالة المنظّمة تقتضي عدّة سنوات لقيامها فلا بدّ اذن ان يرتقي الى ابتداء المسيحيّة .

امّا الانجيل — وهو خلاصة كرازة الرسل كما قلنا — فلا نجد

فيه شيئاً من حياة الكنيسة هذه الاجتماعية المنظمة بل وعداً فقط من السيّد المسيح بانشائها (متى ١٦: ١٨) . وكذلك لا تجد فيه كما في رسائل بولس نظريات في حقائق الايمان المسيحي بل تعليماً بسيطاً يلقيه السيّد المسيح على الشعب بحسب الظروف فهذا دليل واضح على ان الحالة التي وصفها الرسل في اول كرازتهم والتي تخصها الانجيل سبقت تلك التي ذكرناها والتي تجد آثارها في الرسائل لا سيما في رسائل بولس. فهي اذن من اول ساعة بعد المسيح. فلا يبقى هناك مجال ولا وقت لاثارة « الهوس » في نفوس الرسل وحملهم على تأليه معلّمهم . فانهم بكل « بساطة » ذكروا ما عاينوا .

٤ زدْ على ذلك ان « الهوس » فضلاً عمّا يقتضيه من مرور الزمن لا يحدث — إن حدث — الّا بعد نجاح باهر يُرَجى من دوامه منفعة عظيمة لأصحاب الدعوة وأتباعهم . والحال ان الرسل باشروا بالكرازة التي تخصها الانجيل في حالة اضطهاد مستديم تشهد به كتاباتهم والآثار التاريخية الباقية من ذاك العصر ولم يرَوا من معلّمهم — على قول الأخصام — ما يفوق الطبيعة بل شهدوا ما آلت اليه دعوته من الفشل وما قاسى من العذاب ومرارة الموت على الصليب . فأينَ هذا ممّا كانوا يرجونه وهم ينتظرون انه سيجلس على عرش داود ويملك لا على اليهود فقط بل على العالم بأسره وانهم يكونون وزراءه ! وكيف أمكنهم ان « يتهوّسوا » حتى أعلنوا ملحّين وجوب الكفر بالذات ومكافحة كل الأهواء واتّباع المسيح حتى الموت . كما فعلوا هم بعد ذلك — إنْ كان كل ما أثبتوه من اقوال المسيح ومعجزاته وقداسته وقيامته من الموت لا أساس له الّا في مخيلتهم ! لعمري ان هذا من رابع

المستحيلات .

٥ً وما يزيدنا يقيناً بصحة ما بلّغنا الرسل ان الحوادث والتعاليم التي نشروها لم تكن اموراً سرّية بل **مشهورة** . فان المسيح لم يعلّم في السرّ ولم يصنع معجزاته في الخفية بل علناً أمام الجماهير والألوف المؤلفة من اليهود والدخلاء.[١] كما أجاب هو بنفسه حنّان اذ كان يسأله عن تعليمه[٢]. فلا يستطيع انسان والحالة هذه ان يقول او يكتب شيئاً يخالف الواقع الّا ويقوم للحال ألف معارض يكذّبه لا سيّما وان الموضوع — موضوع الخلاص الأبدي — يهمّ الجميع ومع ذلك لم يقم أحد لا من اليهود ولا من الوثنيين ولا من الخوارج الذين ظهروا في بدء الجيل الثاني ونسب الكذب او الضلال الى رواية الانجيليين بل اعترفوا جميعهم بصحة حوادث حياة المسيح إذ ان اليهود والوثنيين نسبوا ما فيها من العجائب الى السحر والخوارج اجتهدوا ان يُأوّلوها بحسب آرائهم الفاسدة .

٦ً واذا امعنّا النظر في نصّ الانجيل اتضح لنا حالًا ان الرسل عرضوا الحقيقة كما هي بلا زيادة ولا مبالغة. فان الروايات الأربع هي في غاية « البساطة » تُعرَض فيها أعظم الأعمال وأغربها وأعجب المعجزات وأسماها وأصعب التعاليم في نظر اليهودي وأشدّها انكاراً لما اعتاده علماء اسرائيل . ولا يبدي الراوي تأثرًا بل ولا يكاد ينطق بكلمة استحسان ومديح للسيد المسيح واستقباح لأعمال اعدائه وخياناتهم

---

١) أي الذين آمنوا وهم ليسوا من اليهود.

٢) يوحنا (١٨ : ٢٠-٢١)

وخبثهم وفظاعة تصرفهم . فكأن الرواية الانجيلية صفحة فوتوغرافية ينطبع فيها الواقع ليس الّا . فأين « التهوّس » المزعوم في كل ذلك ؟ انه لا أثر له .

ثمّ لو أراد الرسل ان يرفعوا معلّمهم فوق درجة البشريّة فكيف ذكروا **ضعفه** ؟ انهم وصفوه بانه كان يجوع ويتعب ويخاف ويبكي ويتألم ويُنازع ويطلب من أبيه ان يُبعد عنه كأس المنيّة . وصوّروه يخدم تلاميذه ويغسل أرجلهم ويقول : « لم آتِ لأُخدَم بل لأخدُم » (مرقس ١٠ : ٤٥) . ومن أين لهم ان يخترعوا **الهاً يهان ويعذب ويموت** ؟ كان اليهود — والرسل منهم — ينتظرون مسيحاً مجيداً لا يموت بل يملك على العالم بأسره ويكون لهم النصيب الأعلى في مملكته (متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٨) ولذلك لم يكونوا يفهمون كلام المسيح اذ كان ينذرهم بحلول آلام الصلب والموت عليه (متى ١٦ : ٢١ — ٢٤) . فلو كان « التهوّس » حمل الرسل على « تأليه » معلّمهم لكانوا صوّروه بحسب أفكارهم وآمالهم اليهوديّة . وما أبعدها عمّا وصفوه به ! لعمري ان هذه الملاحظة وحدها كافية لتنفي كل فكرة مبالغة وتزيين لحياة المسيح كما رواها الانجيليون أخذاً عن الرسل .

٧َ ولك في كيفيّة نسبة الالوهيّة للسيّد المسيح شاهد آخر لا يُردّ على صدق الرسل في وصفهم الحقيقة كما بدت لهم . فانهم لم ينادوا بلاهوت المسيح صريحاً فان يوحنا وحده — وقد جاء وكتب بعد ما انتشرت المسيحية وفي أواخر الجيل الاول — أوضح في مقدّمة انجيله سرّ تجسّد الابن الوحيد ولكنه بعد ذلك اكتفى كما فعل باقي

الانجيليين[1] بذكر الحوادث والأقوال العديدة والظروف المتنوّعة التي تنطق بصوت عالٍ بلاهوت المسيح .

وأعجب من هذا ايضاً — لو أمكن — انه من عرض أعمال المسيح وذكر أقواله تنشأ في الأناجيل الأربعة **صورة واحدة** للمسيح لا مثيل لجمالها . إقرأ ايّ واحد منها تتمثل امامك ملامح المسيح بشكل لا يختلف عنه قط في الثلاثة الاخرى . ففي كل من الروايات الأربع يظهر المسيح بصورة واحدة : جلال مهيب وتواضع عجيب . حكمة غريبة ووداعة قلب بلطف الله شبيهة . رحمة لا مزيد عليها للخطأة التائبين . وقوّة غير هيّابة امام الظالمين . عطف على الاولاد والفقراء والمساكين وحنان ابويّ على المرضى والبائسين . مَنْ كان أسرع منه الى مساعدة المحتاجين ؟ من حنّ مثله على مصاب القريب ؟ بكى على اورشليم الخائنة متوجّعاً من خرابها الآتي وغفر لمضطهديه وقاتليه من أعلى صليبه . وفوق كل شيء . مَنْ كان مثله محباً للآب السماوي خاضعاً لإرادته مرتاحاً الى تتميم ادنى اشارة منه حتى الموت ؟ من صبر على أمرّ العذابات الجسديّة والروحيّة حباً به ورغبةً في خلاصنا كما صبر ؟ وخلاصة القول قداسة لا يماثلها قداسة وبالمظاهر عينها في الروايات الأربع . هذا ما صوّره الانجيليّون الأربعة وبلا اتفاق الواحد مع الآخر . فمن اين هذه الوحدة العجيبة في التمثيل ؟ أليس لأنهم رسموا أسارير وجه واحد تراءى لهم فصوّروه كما بدا لهم ؟ ومَن أراهم هذا الوجه البديع ؟ أليس الرسل وهم يكرزون كل واحد من

---

[1] راجع ص ٢٧ الخ

جهة شرقاً وغرباً . وقد كانوا مدّة ثلاث سنوات رفاق المسيح وشهود حياته الرسولية كلها ؟ فلا عجب اذا اتّفقت شهادتهم . ونفت كل فكرة اختلاف . قال جان جاك روسو[1] في هذا المعنى وهو الفيلسوف المشهور بجحوده الايمان المسيحي وقد انطقته الحقيقة احياناً بما هو مطابق لها :

« أتقولنَّ ان ما يرويه الانجيل مجرّد اختلاق ؟ يا صاح لا يكون الاختلاق على هذا الشكل فان أعمال سقراط — وما من أحد يشتبه فيها — هي أقلّ تحققاً من أعمال يسوع المسيح . وعلى كل حال فان مثل هذا الزعم لا يزيل المشكل انما يُبعد حلّه فقط . لأنه لأبعد عن العقل ان يتفق **أربعة** ليصنفوا هذا الكتاب من ان يكون **واحد** موضوعه . فان كتاباً من اليهود لا يتوفقون ابداً الى ايجاد مثل هذه اللهجة ولا مثل هذه الأخلاق . وان للانجيل سمات الحقيقة جليلة لامعة غير قابلة التزييف على الاطلاق حتى انه لو كانت روايته مخترَعة لكان مخترعها أعجب من الذي وُصف فيها » .

نستنتج من كل ما تقدّم ان الرسل شهدوا بما رأوا وسمعوا وعرضوا الحقيقة بلا زيادة ولا مغالاة وسهروا ايضاً حتى لا يشوّهها او يعدّلها أحد من التلاميذ كما ترى في توصيتهم « بحفظ الوديعة »[2] . فجاء الانجيل صورة بديعة مطابقة للواقع . هذا ما حدا « بكوشو »

١) راجع تأليفه L'Emile L. IV - dans ses Œuvres T VII p. 246-249 Paris édition 1822

٢) الرسالة ٢ الى تيموتاوس ١ : ١٤

ص ٢٠) ان يخترع طريقة جديدة للمدافعة عن آراء الملحدين. فانه
رأى كما قلنا ان حججهم لتفنيد كلام الانجيل وباقي الآثار
الكتابية» واهية لم يجد سوى ذاك القول الذي أضحك معلميه
ل «لوازي» : ان المسيح ليس شخصاً حقيقياً بل صورة خيالية
تشخيص» تعاليم مذهب جديد . وعلى كل حال فان في هذا إقرار
ت اعتراضات العقليين لا قيمة لها . وان أساس المسيحية صخر متين
يُزعزع .

* * *

فهرس

